

الفصل الأول :

فى محيط التقاليد

٩٧ - انا فتاة عمرى ثمانية وعشرون عاما ، مصابة بعقدة نفسية : خوف ٠٠
ووهم ٠٠ ووسوسة ٠٠ ووجع فى الراس ٠٠ وعدم زواج ٠ وقيل لى :
ان علاج هذه الاحوال هو : الزار ٠ وقد جريت العلاج الروحى وهو
يطول ٠ وانا اريد علاجا سريعا ٠

● جاء الاسلام ليحدد طريق الانسان فى واقع الحياة ٠٠ ويدفع عنه
طريق الخرافة ٠٠ والايمان بالأوهام ٠ ومن أجل ذلك حرم صورا عديدة مما كان
يدعيه بعض الناس فى الجاهلية من معرفة المستقبل : فحرم التنجيم ٠٠
والكهانة ٠٠ والعرافة ٠٠ وضرب الحصا على الرمال ٠٠ وحرّم التشاؤم
بحوكات الطير ٠٠ كما حرم الغيلان (أى العفاريت) فىروى مسلم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قوله : « لا عدوى ٠٠ ولا غول ٠٠ ولا صفر ، ٠٠
والغول واحد الغيلان ٠ وكانت العرب تعتقد فى نوع من الجن والشياطين تظهر
للناس بصور شتى : تضلهم عن السبيل ٠٠ وتهلكهم ٠ والحديث بنهيه عن
« الغول » والاعتقاد فيه : ينفى حقيقته ، ويؤكد : أن لا شىء من ذلك فى حياة
الانسان ٠

ومعنى هذا : أن طريق الحياة مفتوح للناس ٠٠ وأن لا عقبة فيه سوى
ارتكاب الخطيئة ٠٠ وأنه لا شىء يقيد حركة الانسان فى طريق الحياة ، غير
نفس الانسان ذاته ٠

فإذا أمن الانسان بهداية الله - وفى مقدمة هذه الهداية : عدم الايمان
بمؤثر خارجى وبفاعل غير الذات فى حياة الانسان ، سوى الله وحده - استنارت
نفسه واندفع بقوة الايمان الى العمل الجدى ٠٠ والحركة الايجابية فى
حياته ٠٠ ونحى عنه : الوسواس ، والأوهام ، والخرافات ٠

و ، الزار ، كوسيلة من وسائل العلاج النفسى - كما يدعى - يقوم على
الاعتقاد فى الغيلان (أى فى العفاريت) وعلى اتصالها ببدن الانسان وتقييد
حركته ، ودفعه الى خطر الأوهام والوسواس ٠ وهو اعتقاد باطل يحرمه
الاسلام تماما وما يأتى به من يعمل له الزار : من الحركات العصبية والهستيرية :

يأتى بها وهو واقع تحت تخدير الوهم وحده . وكذلك الراحة النفسية التى يتصور أنه يحس بها بعد التعب من هذه الحركات : هى راحة يلعب فيها الاعتقاد الباطل دورا رئيسيا .

● وقد امتن القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدائه إياه إلى الإيمان به وحده . إذ كانت له هذه الهداية سببا فى انشراح صدره وتجاوز له فى الحياة ، رغم الصعاب والمشقات فى طريقه فيها . فيقول له : « ألم نشرح لك صدرك ؟ » وفى تنوذة الانشراح هذه : أوضح له مبدأ رئيسيا فى حياة الانسان وهو : أن العسر فيها ليس منعزلا عن اليسر . بل فى الوقت الذى تشدد فيه الازمة : يكون اليسر والفرج ، فيقول سبحانه : « فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا » (١) .

وعلاج صاحبة هذا السؤال : هو فى التوكل على الله ، والثقة فيه وحده ، والإيمان بهدائه : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ، ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى إلى صراط مستقيم » (٢) .

٩٨ - أنا الابن الوحيد لوالدى ، الذى يعمل ويكسب ، والحمد لله . وقد نلت بعد مشقة : دبلوم المعلمين ، وعينت مدرسا بمدرسة ابتدائية بأحدى القرى . وعرضت أهلى عما رأوه من حرمان . ثم تزوجت بعد تعيينى بثلاث سنوات ، مع الاستمرار فى الأكرام الأهلى : أزورهم مرة كل اسبوع ، وأرسل اليهم أربعة جنيهات شهريا . وهذه طاقتى .

ولكن أبى وأمى لا يرضيان بهذا . . ويسببان المشاكل لى ولامراتى ، مع انها لى جد مطيعة ، وأنا بها : سعيد . وأنا أبذل لأهلى ما أستطيع .
فماذا اصنع ؟

● ما يرويه السائل فى سؤاله من :

(١) انه الابن الوحيد الذى يعمل ويكسب ،

(١) الشرح : ٥ - ٦ .

(٢) الشورى : ٥٢ .

(٢) ويأته يرعى والديه بأربعة جنيهاً شهرياً من مرتبه ، وهو مرتب مدرس باحدى المدارس الابتدائية فى القرى ٠٠ وأن هذا المبلغ هو نهاية طاقته ، بعد أن تزوج : يقر بأن نفقة والديه واجبة عليه ٠٠ وبأنه يؤديها فى حدود امكانياته المتاحة ٠ فهو ولد صالح : لا يجادل فى الحق ٠٠ ومحسن لوالديه لأنه يبذل قصارى جهده فى رعايته لهما ٠ وبذلك يكون قد أطاع الله فيما أوصى به فى قوله : « ووصينا الإنسان بوالديه حسناً » (١) ٠

❶ ولكن المشكل هو : فى عدم رضا والديه بهذا المبلغ ٠ وفى تحديدهما لزوجته ٠ لأنها دخلت عليهما حياتهما وتشاركهما الآن فى مجهود الابن ، ويظنان : أنها بهذه المشاركة تعتدى عليهما ٠ ولذلك : يتبعانها ، ويفقران منها زوجها ، رغم أنها مطيعة له ، وهو بها سعيد ، كما يذكر ٠

والمشكلة بالنسبة لوالدى الزوج مع زوجة الابن هى مشكلة الأناثية من جانبهما ٠٠ ومشكلة الحق من جانب الزوجة ٠٠ ومشكلة المتاعب بالنسبة للزوج الابن ٠

فالوالدان تغلب عليهما الأناثية من أجل احتفاظهما بالابن وحدهما ٠٠ بعواطفه ٠٠ وبماله كله ٠٠ وبكل مجهود بشرى له فى الحياة ٠

والزوجة يملكها الحق فى أن يكون زوجها متكفلاً بنفقتها ٠٠ وبوقايتها من الأضرار ٠٠ وبأن تكون عواطفه لها ولأولادها منه ٠

والزوج الابن ان لم يكن ذا ارادة فيحسم الأمر ، ويقف بجانب زوجته ٠٠ ويعطيها من عواطفه ، ومن احترامه ما يشعرها بأنها شريكته فى قيام الأسرة الجديدة وفى بقائها ، على أن لا يغفل رعاية والديه ، بقدر ما يستطيع : يتيه فى المتاعب ٠٠ ويضيع فى التردد بين زوجته من جانب ، والديه من جانب آخر ٠

والزوج يجب أن يعلم : أن طاعة الوالدين لا تلتزم فى كل شيء ٠ وقد نص القرآن على أن عصيان الولد لأبيه أمر واجب ، عندما يطالبان منه : أن يشرك بالله ٠ فيقول : « وان جاهدك (أى عملا فى اصرار) لتشرك بى ما ليس

لك به علم ، فلا تطعهما » (١) ٠٠ والشرك وان كان رأس المعاصي الا أن ما عداه من انحرافات اذا كانت تتضمن الاعتداء على حقوق الآخرين : فلا ينبغي تنفيذها من قبل الابن ، اذا أمر من والديه بارتكاب ما يخالف حق الله ٠٠ أو حق الناس ٠ والزوجة عندما يقول الله تعالى فى شأن ما يجب أن يعاملها زوجها به : « فامسك بمعروف ، أو تسريح بإحسان » (٢) ٠٠ لها حق المعاملة الكريمة على زوجها ، وليس من المعاملة الكريمة : أن ينفذ اذغالات الوالدين الكريهة قبلها ٠ ليس له أن يزعجها بما يلاحظاته عليها ، أو بما ينفذانها به ٠٠ ليس له أن يردد على سمعها ما يتقولان به ، فضلا عن أن يسلك مسلكا عمليا يؤذيها ، وتتضرر به ٠

والوالدان يجب أن يعلما : أن رعاية الابن لهما ليس معناها : التحفظ عليه ، والتحكم فى عواطفه ، والتصرف فيما بيده ، يجب أن يعلما بعد أن تزوج : أن نماء شخصيته هو فى استقلاله عنهما ٠٠ وان هدفه قد تحول بالفعل الى أسرته الجديدة ٠٠ وانهما يمثلان فقط « بقية » فى محيط وجوده ، ولا بد أن تصفى هذه البقية اليوم أو غدا ، بفعل الزمن وحده ٠ يجب أن يشكرا له رعايته لهما بقدر ما يستطيع ٠٠ وان يباركا له حياته المشتركة مع زوجته ٠٠ وان يدعوا له بالخير فى أن يكون خير خلف لهما ، بدلا : من محاولتهما تحطيم مستقبله فى أسرته ٠

٩٩ - انا فتاة صغرى أخوات ثلاث ، موظفة ، وخطبني أحد زملائي ٠ ولكن أبى رفض الخطبة ، محتجا بأن الكبرى أولى بالزواج من الصغرى ٠ وقد انصرف لذلك : الخطيب المرفوض وتزوج ٠ وانا لا أزال على حالى ٠ فما الراى ؟

● ما باشره الوالد من رفض خطبة ابنته الصغرى حتى تتزوج الكبرى من بناته أو لا : يعود الى عادة تقوم على معنى نفسى . أكثر من أن ترجع الى رأى فقهى فى الاسلام ٠

وهذا المعنى النفسى هو الحيلولة بون أن تصدم البنت الكبرى بصدمة نفسية ، عندما ترى أختها الصغرى قد تزوجت قبلها ٠ اذا أنها عندئذ تذهب الى

(١) العنكبوت : ٨ ٠

(٢) البقرة : ٢٢٩ ٠

مدى بعيد فى الظنون والأوهام بشأن قيمتها الذاتية : بشأن ما عليه هى من جمال .. وما لها من أسلوب فى الحديث والتفكير .. وما لها من مسلك فى المعاملة .. وما تجيده ، وما لا تجيده فى ضروب الحياة . وتبخس نفسها عند مراجعة قيمتها . وبخسها لقيمتها الذاتية قد يودى الى تشاؤمها .. والى سلبيتها . وأنذ : لا ترى فى الحياة الاظلمة ، فتنزوى الى ركن فيها . وربما يكون ركنها غير أمين على حياتها .

وهذا المعنى الذى يرمعه الأب عندما يرفض خطبة صغرى بناته قبل كبراهن : هو معنى عاطفى . ولكنه ليس أمرا واقعيا . فطالما كان الرجل كفوا فى ذاته فلا يكون رفضه من أب البنات بسبب أن الكبرى لم تتزوج بعد . والفقه الإسلامى - فى بعض مذاهبه - يعطى للبنات الصغرى اذا بلغت سن الرشد : الحق عندئذ فى أن تلتجىء الى الحاكم ليكون وليها فى الزواج . لما يروى عن عائشة رضى الله عنها ، عن الرسول عليه السلام فى حديث لها عن الموالى - أو الأولياء - فى الزواج - قولها : « فان تشاجروا (أى تنازع الأولياء ، أو امتنعوا عن تزويج الكفو) فالسلطان ولى من لا ولى له » .

❶ ولكن ليس من المصلحة الأسرية أن تستخدم البنات التى رفض أبوها أن يزوجها من رجل كفؤ تقدم لها بسبب اختها الكبرى : هذا الحق وتخرج عن ولاية أبيها . لأنها ستجد نفسها وحيدة فى الصراع فى الحياة . علما بأن أباهما لم يكن سييء النية بالنسبة لها يوم أن رفض تزويجها ممن تقدم لها . وإنما أراد فقط أن يبقى على العلاقة بينها وبين أخواتها : صافية وخالية من شوائب الحقد .

وأخيرا يجب على كل انسان أن يؤمن بقضاء الله ، وبأن ما وقع هو خير للانسان ، اذ ربما يكون هناك مستقبلا : ما هو أحسن . مما مضى .. فلا تذهب نفس الصغيرة - السائلة - حسرات على فوات زواجها من زميل لها فى الوظيفة . اذ ربما تكون زمالته لها فى العمل ، فيما لو تم زواجه بها : عامل نكد . وربما هذا النكد يقضى على مستقبل الزوجية بينهما فى القريب .. أو الأجل البعيد .

أو الوالد فعليه أن يعالج شئون بناته بالاعتناع .. وبعدم تضييع حق لصاحبه من بينهن . فإذا راعى كبرى بناته هنا .. فانه أغضب الصغرى من بينهن بمسلكه . ولكن اذا كانت هذه الصغرى قد اقتنعت بمسلك الأب قبل أن يعلنه .. فان نفوسهن جميعا ستبقى على صفائها .. وفى ايجابيتها فى الحياة .

★ ★ ★

١٠٠ - والدتي لا ترضى عن راحتي وراحة اولادى (زوجتى) وتجلب لى المشاكل العائلية ، وتريد طرد زوجتى ، وهى أم لخمسة اطفال . وانا محافظ على حقوق والدى وبرهما . وحاولت الكثير فى اصلاح هذه الحالة فلم اُنجح . فاخذت زوجتى واولادى الى بلد آخر لمترتاح وبرتاح اولادى . فما الراى ؟

● الام الآن فى موقفها من زوجة السائل : أنانية ، تريد أن لا تترك فى قلبه وفى حياته فراغا لامرأة أخرى ، ولو كانت الزوجة . ولو كانت أم اولاده . ولو كانت فى خدمته ورعاية الاولاد .

وهذه الام الأنانية فى معاملتها لزوجة ابنها على هذا النحو يجب أن لا تطاع من ولدها . وفى وصية لقمان لابنه كما يقصها القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « وان جاهدك (أى الوالدان) على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ،

« وصاحبهما فى الدنيا معروفا ،

« واتبع سبيل من اُتاب الى (وهى سبيل المؤمنين) » (١) . وما يقصه القرآن من الشرائع وأخلاق الرسالات السماوية السابقة يعد من المنهج الذى يجب أن يسير عليه المؤمنون برسالته .

وفى هذه الوصية يوصى لقمان ابنه بثلاثة امور :

أولا : بأن لا يتبع الوالدين فيما يخالف رسالة الله ، وبالأخص : فى الشرك بالله (وان جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما) ،

وثانيا : أن الاختلاف بين الابن والوالدين فى الدين (ومثله الاختلاف الجذرى فى اتجاه الحياة) لا يمنع أن يقوم الابن بما يجب عليه نحو الوالدين من رعاية واحسان ، ومصاحبة بالمعروف (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) ، بل يجب عليه أن يباشر الرعاية المثلى نحوهما ، بالرغم من الاختلاف بين الطرفين .

وثالثا : أنه يجب على الابن ليكون فى ما يمين من سلوكه وفى اتجاهه فى الحياة : أن يتبع فقط سبيل المؤمنين بالله وحده (واتبع سبيل من اُتاب الى) .

(١) لقمان : ١٥ .

والأم هنا - فى هذا السؤال - بتضييقها على زوجة الابن واثارتها المشاكل العائلية فى وجه ابنها بسببها . تخالف ما ينصح به الاسلام فيما يجب أن يعامل به الزوج زوجته فى حسن خلق ومودة ولطف . فيروى عن عائشة رضى الله عنها : قولها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا . . . وخياركم (أى الفضلون فيكم) خياركم لئسانهم (أى المحسنون اليهم بالمعاشرة الطيبة) » .

فعلى الابن - وهو صاحب السؤال - أن لا يطيع والدته فيما تحمل به على زوجته . وليس فى عدم طاعته اياها فى ذلك : ما يخالف نصحا أو امرا لله فى شأن الوالدين . ومع وجوب عدم طاعته لوالدته فإنه يجب عليه الاستمرار فى رعاية الوالدين . وبذلك يكون متبعا سبيل من أتى الى الله وتوكل واعتمد عليه ، وهو المؤمن به فى ثقة وفى صدق .

❶ ولذا : فالطريق الذى اختاره الزوج بالانتقال بزوجه وأولاده الى مكان بعيد عن والدته . . هو الطريق الأمثل . ولا يقلل ابتعاده عنها فى المكان أى أجر أو ثواب له عند الله فى رعاية الوالدين . وبذلك يحفظ المودة فى الجانبين : فى جانب زوجته . . وجانب والديه .

١٠١ - تزوجت وعقد قرانى ، ونص فى العقد على الصداق الشرعى فقط . وجهاز الزوج ثلاث غرف ، وأنا قمت بالباقي . وعند الدخول طلب أهلى منه : التوقيع على قائمة الجهاز ، فامتنع بحجة أن هذا عدم ثقة به . فما هو الواجب الآن ؟

● من غير شك : أنه لوحظ فى مهر الزوجة هنا ما سيقوم به الزوج من تجهيز الغرف الثلاث . وصداق الزوجة فى واقع الأمر هو : ما سجل فى وثيقة الزواج الرسمية على أنه الصداق الشرعى . . مضاف اليه ما دفعه الزوج فى تجهيز الغرف الثلاث . . فذلك كله حقها وتدخل فيما تملك بعقد الزواج .

وعقد الزواج فى حقيقته هو : الايجاب والقبول بين الزوج وزوجه . . هو التراضى بين الطرفين . أما تسجيل الزواج فى وثيقة حكومية فهذا أمر وراء عقد الزواج تصد به اشهار الزواج رسميا فقط ، كاشهار أى عقد من عقود المعاملات المدنية . والعبارة اذن فى المهر بما تراضى عليه الطرفان . والوثيقة

الحكومية قد يكون ما جاء فيها تعبيراً صحيحاً عن هذا المهر ، وقد لا تكون لسبب ، أو لآخر .

● أما قائمة الجهاز ، وتوقيع الزوج على أنه ملك للزوجة وحدها ، فهذا من مستحدثات الحياة العصرية التي تنطوي على الشكوك وعدم تبادل الثقة ، كما تنطوي على كثير من الحيل والخداع . فأهل الزوجة يدخلون في الحياة الزوجية لا ينتهم على أنها تجرية : عنصر الأمن فيها لا يلغى الترقب والانتظار لما يقع من أحداث قد تعصف بها .

والزوج - وربما أهله معه - يدخل الحياة الزوجية مترقباً : أنه ربما يفقد حريته ، أو ربما يكون موضع استغلال سييء لأهل الزوجة . وما شاكل ذلك من ظنون . وهنا يأتي دور : ما يسمى « بالاحتياط » : أهل الزوجة يحتاطون لمستقبل ابنتهم - كما يذكرون - فيغالون في الصداق ، ويطلبون التوقيع على قائمة الجهاز . والزوج يحتاج فيطلب في الوثيقة الرسمية للزواج أن لا يذكر الصداق كاملاً . لا هرباً من رسوم التوثيق . وإنما تقليلاً لمؤخر الصداق ، ثم يعاقل في التوقيع على قائمة الجهاز ، عندما يطلب منه .

● والرأي : أنه يجب على الزوج أن يوقع على قائمة الجهاز . لأنه مكمل للصداق في واقع الأمر . ثم من جهة ثانية يظهر حسن نيته إزاء العلاقة الزوجية الجديدة . بهذا وذاك دون الوسواس التي ستراود الزوجة وأهلها عند امتناعه على التوقيع على القائمة المذكورة . كما يحول دون تتبع تصرفاته مع الزوجة بالشك والريبة . وإذا كان الزوج عاقلاً وحريصاً حقاً على مصلحته الخاصة تبتل حرصه على مصلحة الزوجة لا يرجىء التوقيع لحظة واحدة ، وينسج حجر الثقة في طريق العلاقة الجديدة والسعيدة إن شاء الله .

١٠٢ - توفي أخى فحزنت عليه ، ولبست السواد . وزوجى يعارض فى لبس السواد ويكره تصرفاتى المنبعثة من الحزن ، ويسبب هذا حدث الخلاف والشقاق حتى كرهت الإقامة فى بيت الزوجية ، بسبب اصراره على خلعى السواد . ولم أقبل هذا ، وفاء لأخى . فما رأى ؟

● ان السائلة : أخت . . . وزوجة . وإذا كان للأخ فى حياته ، أو عند مماته : حقوق . فالزوج له حقوق طيلة الحياة الزوجية . وأداء الزوجة لحقوقها أمر أساسى فى بقاء الحياة الزوجية : مطمئنة ، وقائمة على المودة بين

الزوجين • ومن المفروغ منه كذلك : أن قيام الزوج بواجباته : ضرورى للحياة الزوجية المطمئنة •

والسائلة أصبحت زوجة ، بالاضافة الى انها أخت • ومعنى ذلك : أن علاقتها الزوجية لا تُلغى أخوتها لأخيها ، ولكنها تتقدم عليها • وبالتالي : رعايتها لمصالح زوجها وحقوقه •• مقدمة على رعايتها لمصالح أخيها وحقوقه • إذ الرابطة التى بينها وبين أخيها هى رابطة الدم • بينما الرابطة التى بينها وبين زوجها هى رابطة عقد : له حقوق تؤخذ •• والتزامات تؤدى ، للمحافظة عليه •

• والسائلة فى رعاية حق أخيها بعد وفاته - كما وصفت فى سؤالها - تبالغ فى الحزن عليه •• وتنسى حق زوجها عليها فى أن تكون خير زوجة له • وخير النساء هى ما يتحدث عنها الرسول عليه السلام بقوله : « التى تسر (زوجها) إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره » •

السائلة تبالغ فى الحزن على أخيها وتخالف بذلك ما يوصى به الاسلام فى هذا الشأن • فالاسلام يريد للحياة البشرية أن لا تتوقف لموت انسان ما •• يريد لها أن تسير الى الأمام • ومن مات فهو قد مضى ، يعتبر بوفاته •• ويدعى له من وقت لآخر • أما الشؤم •• أما الحزن •• أما السواد •• أما البكاء : فليس من صفات التقدير للميت • إذ تقديره أن يتأسى بصفاته الطيبة فى حياته •• ويستغفر له الله فى أخطائه •

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعجيل بصلاة الجنازة على الميت ، فى قوله لعلى رضى الله عنه ، ثلاث لا تؤخرها : الصلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم (وهى التى لا زوج لها) إذا وجدت كفؤا •• وأوصى بالتعجيل بصلاة الجنازة حتى لا يشغل أهل الميت به طويلا •• وحتى يتفرغوا بذلك الى عملهم اليومى •

والعبادات وحدها هى التى جعلت مراسم عبيدة •• وسننا مختلفة للتعبير عن الوفاء للميت • منها ذكرى الأربعين •• والذكرى السنوية •• وليس الحداد مدة من الزمن •• والامتناع عن الاستمتاع بمباهج الحياة فترة من الزمن •• وما شاكل ذلك مما يجر أهل الميت الى الوقوف عنده •• وربما الى الحياة معه فى رؤيا المنام والتعرف على رغباته ، والاستجابة لها فى صورة صدقة على أصحاب الحاجة •

والله يقول فى كتابه : هاديا ومرشدا فى هذا الشأن ، فى وصف المؤمنين :
« الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا : انا لله (اى أنه وحده هو الذى يتصرف فيها
استسلاما له) وانا اليه راجعون (١) (اى فى آخرتنا) » . فالاستسلام لله عند
المصائب .. والتغلب على هواجس النفس بعدم الاستسلام الى هواها : هو
موقف المؤمن بالله .

والسائلة أخيرا تفرط فى حق زوجها ، ولا ترعى علاقتها معه باصرارها
على ليس السواد والحزن المبالغ فيه . وربما كراهيتها لنصيحة زوجها : تجربها
الى الزهد فيه .. فالطلاق . وعندئذ تفتش عن أخيها فلا تجده الا أنه قد تحول
الى تراب لا تستطيع أن تقبض عليه بيدها .. ولا ان تانس بالنظرة اليه .

١٠٢ - تزوجت ابنة عمى وانجبت منها طفلين . وكنت اسكن فى منزل اهلى
معهم . وحدث خلاف ونزاع ذهبت الزوجة بعده الى بيت أهلها .
ورفعت الأمر الى القضاء . واهلى يصرون على طلاقها .. وأهلها
يصرون على عدم اقامتها مع اهلى .. فماذا أصنع ؟

● المشكلة فى سؤال السائل هى تدخل الأهل من هنا .. وهناك . وهذه
مشكلة عميقة الجذور فى مجتمعاتنا الشرقية . تترتب عليها آثار ضارة فيما
ينشأ من علاقات أسرية بين الأولاد . وربما أكثر الأسباب تأثيرا فى فصم عرى
الزوجية فى مجتمعاتنا اليوم : يعود الى أهل الزوج أو أهل الزوجة .. وليس
الى يسر الطلاق ، كما يدعى فى كثيرا من التقارير . إذ لم يزل الأهل يمارسون
إنانيتهم فيما يسمى بحقهم على الأولاد : ان فى توجيههم بعد الزواج .. أو فى
حل مشاكلهم مع أزواجهم . ولم يتعودوا بعد : أن يتركوا أبناءهم وبناتهم :
يحلون مشاكلهم الخاصة بالطريقة التى يرونها . وقد يخطئون مرات ، ولكنهم
سيفيدون حتما من أخطائهم فى مستقبل حياتهم .

والمشكلة التى يعرضها السائل هنا : هى مشكلة أهله .. ومشكلة أهل
زوجته . فكل من الطرفين يصر على رأى فى العلاقة الزوجية بين الابن والبنات :
يناقض الرأى الآخر . وعلاقة الزوجين هى التى تتضرر بالتناقض بين الرأيين .

(١) البقرة : ١٥٦ .

وربما الزوجة هنا لم ترفع الأمر الى القضاء باختيارها . وربما الزوج كذلك لا يرى الطلاق من زوجته ، الذى يقترحه أهله عليه .

● ولولا ضعف شخصية الزوج ما كان لتدخل اهله : هذا الأثر فى العلاقة بينه وبين زوجته . ولولا أيضا صلة القرابة بين اهل الزوج واهل الزوجة : ما وصل أمر هذه العلاقة بين الزوجين الى هذا الحد .

ومن الصعب على الزوج أن يستقل الآن عن أهله : فى تقدير علاقته بزوجته التى هى ابنة عمه ، والتى أنجب منها طفلين . لأنه تعود أن يسمع لأبيه وأمه . وكان من الخطأ : أن نفذ مشورة أهله فى السكنى بزوجته معهم فى مسكن واحد . لأن حقد أمه الآن على زوجته سيزداد قوة واتساعا . . . وسترى فى كل عمل تباشره هذه الزوجة : خطأ . . . وستحاول تحصين ابنها ضد أخطاء هذه الزوجة ، بما يجعله على الأقل يحتاط فى شأنها وشأن ما تحدثه به عن الصعوبات التى تلقاها من أمه ، بدلا من أن يزيد ثقته فيها .

ومن الصعب أن تسمع أم الزوج أيضا : أن رعاية الوالدين وطاعتهم التى أوصى بها القرآن : الأبناء نحو والديهم ، فى قول الله تعالى : « وأخفص لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (١) . لاتتصل بشئون الزوجية بين الأبناء . فالآية تقيد الذل هنا وهو بمعنى الطاعة : بأنه الصادر عن رحمة بالوالدين وشفقة عليهما : « وأخفص لهما جناح الذل من الرحمة » . . . ولا شأن للرحمة بالوالدين : بالخلافات الزوجية . . . وعلاقة الزوج بزوجته من الأبناء .

الأم لا تسمع ذلك ولا ترضى به . لأنه يعز عليها : أن تدع ابنها لامرأة أخرى : هى زوجته . . . وأم طفليه . . . وابنة عمه . هى تريد أن تحتفظ به لنفسها . . . وتحصل وحدها على منفعته المادية ، أو على الأقل تتصرف فيها دون غيرها من نسوة أخرى ، ولو كن بناتها .

● والرأى أن الابن يعتمد على الله : ويترك مسكن أهله ليسكن مع زوجته وولديه فى مسكن مستقل . . . ويخصص عواطفه وخدماته لأسرته الجديدة ، على أن لا يغفل حاجة والديه ، وعلى أن يلتزم برعايتهما بما يحقق الاحسان اليهما . وإذا انتقل الى مسكن جديد الآن لا يقال : انه أطاع عمه . . . والد زوجته . وإنما

(١) الاسراء : ٢٤ .

فقط : هو قد سلك الطريق الذى يجنبه الاحتكاك بالأهل هنا . . وهناك . .
ويحفظ السكنى والمودة لعلاقته الزوجية : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم
أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم
يتفكرون » (١) .

١٠٤ - لما كان ستر الرأس للمرأة واجبا فانى اضع « ايشارب » على راسى .
ولكن هل وضع « الباروكا » على الرأس بدلا من الايشارب كغطاء
يؤدى نفس الغرض : جائز ؟

● هل السيدة السائلة تحب أن يعرف الناس عنها ، وبالأخص معارفها :
انها تضع على رأسها «باروكة» ؟ أم انها تحاول بقدر الامكان ان يظن الآخرون
أو يعتقدوا : أن ما تحمله على رأسها من شعر هو طبيعى لها ؟

أغلب الظن أن اعتزازها بجمال نفسها وفخرها بشعر رأسها بعد وضع
الباروكة عليه يتوقف على اعتقاد الآخرين فيها : أنها لا تتزين بشعر أجنبية
عنها ، وأن ما تحمله على رأسها هو شعر لها من طبيعتها الخاصة . وأن هى
تحاول الخداع ، كما تحاول الاعتزاز بما ليس لها . وهذا يختلف تماما عن
وضع « الايشارب » على شعر الرأس سترة له . إذ الكل يعرف : أن الايشارب
ساتر عارض كاية قطعة أخرى من الملابس على جسمها .

والاسلام ينفر تماما من الخداع وايهام الناس ما ليس حقيقة : انه حقيقة .
ولذا يحرم على المرأة أن تتزين بشعر غيرها . وقد كان هناك عرف على عهد
الاسلام فى أول أمره : أن تصل المرأة بشعرها القصير شعرا آخر لغيرها حتى
يبدو طويلا . وبذلك تدفع عن نفسها مذمة الشعر القصير فى ذلك الوقت . فكان
ما يروى فى حديث مسلم : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تصل
المرأة بشعرها شيئا (أى شيء : شعرا لغيرها أو شعرا صناعيا مثلا) » وكان
كذلك ما يروى عن معاوية : أنه خطب على منبر المدينة - وببده قصة شعر ،
أى بعض خصال من الشعر - وقال : أين علماءكم وأنتم تصلون الشعر (أى
ترون نساءكم يصلن شعورهن بشعر آخر ، كما كان العرف) فان النبى

(١) الروم : ٢١ .

صلى الله عليه وسلم نهى عنه ، وسماء : زورا . لأنه تضليل بايهام الواصلة أنه شعرها وليس كذلك . ثم ذكر : وكان هذا من أسباب هلاك بنى اسرائيل ، .

❶ وتحريم لبس : « الباروكة » اذن لأنه خداع ، وليس لأنه من أسباب الزينة للمرأة . والا فالاسلام يبيح للمرأة أن تزين شعر رأسها بالصبغة - غير اللون الأسود لمن تقدمت في السن - وتزين أظفارها . فيروى عن عائشة ، أنها قالت : « أومأت امرأة من وراء ستر - بيدها كتاب - الى النبي عليه الصلاة والسلام فقبض يده (أى فمسك يد هذا الذى أوما وأشار بيده) فقال : ما أدرى : أيد رجل ، أم يد امرأة ؟ قالت (أى هذه المرأة التى أشارت من خلف الستر) : بل يد امرأة . فقال - عليه السلام - لو كنت امرأة لغيرت أظفارك بالحناء ، . قال لها الرسول ذلك ، حاثا اياها على ان تحفظ اثوثتها من أن تتحول الى شبه بالرجل .

والاسلام اذ يحث المرأة على الاحتفاظ باثوثتها ، يحث أيضا الرجل على الاحتفاظ برجولته . ليس لأن هذا وذاك هو الوضع الطبيعى لكل من الأنثى والذكر . ولكن ليبقى كذلك : التالف والانسجام بين الطرفين . وهو يذهب حتما بينهما اذا تحول أى طرف الى الطرف الآخر : اذا تحولت المرأة الى رجل ، أو تحول الرجل الى امرأة .

١٠٥ - مات أبى وأنا طفل صغير . ولصغر سن أمى تزوجت بأخر . وضمنى عمى اليه ، وعاشت أمى مع زوجها وأنجبت منه أولادا . ومرت السنون ، وهى لا تحضر لرؤيتى ، ولا أدرى : لماذا ؟ . وأنا لا أذهب لرؤيتها وذلك من خمسة وعشرين عاما . وقد سمعت : أن هذا بسبب سوء معاملة عائلة أبى لها . والآن ماذا اصنع لأرضى الله ؟

❷ ان العلاقة بين أى أم وابنها ليست متكافئة . فعاطفة الأم نحو ابنها أقوى من عاطفته هو نحوها . ومحاولة الأم لاسعاد ولدها أكثر وأعمق من محاولة الولد لاسعاد أمه . وحبها على رعايته أوسع مدى من حبه هو على رعاية مصلحتها . تلك هى الفطرة وتعاقت الأجيال . ولعدم التكافؤ فى العلاقة بين الأم وولدها لم يوص القرآن الكريم الوالدين برعاية الأب لابنه والسعى لمصلحته وتوفير الحنان والعاطفة نحوه . وانما أوصى الولد بذلك كله . وقد كانت وصية لقمان لابنه تعبيراً واضحاً عما يريد الله من الأبناء نحو الأمهات والآباء ، فيما يحكيه الله تعالى بقوله : « وانذ قال لقمان لابنه ، وهو يعظه :

يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم • ووصينا الانسان بوالديه : حملته
 أمه وهنا على وهن (أى حملته فى بطنها وهى تزداد ضعفا على ضعف كلما
 تقدم بها الوقت نحو الولادة) وفصاله فى عامين (أى وبعد ولادته تستمر
 رعايتها له فى ارضاعه وفى مباشرة شئونه مدة عامين آخرين ، وهو عاجز
 فيهما تمام العجز عن عمل يفعله لنفسه ، وهو كذلك عرضة للتقلب والتغيير
 فيها : الأمر الذى يتطلب السهر واليقظة على مصلحته) : ان اشكر لى ولوالديك
 (وخلقك ومرورك بمراحل نموك يستدعى أن تشكر الله بالايمان به ، كما تشكر
 والديك على المشقة والمعاناة فى سبيلك : بالتحمل لهما ، والرعاية لمصلحتهما ،
 والتودد اليهما ، والطاعة لما يشيران به عليك ، عدا الشرك بالله) (١) •
 فربط طلب الرعاية للوالدين من الابن والتودد اليهما بعدم الشرك بالله : دليل
 واضح على أهمية هذه الرعاية فى نظر الاسلام : اذ سوى الاسلام هنا فى
 القيمة والاعتبار بين عدم الشرك بالله - وهو العقيدة الأساسية فيه - بالرعاية
 التامة للوالدين من أبنائهما •

• وعن هذا المبدأ يجب على السائل - وهو ابن لأم لم يرها منذ خمسة
 وعشرين عاما - أن يبادر الى زيارة والدته ويتعرف على اخوته منها ، ويعيد
 طريق المودة معها • وبالأخص لا ننب له ولا لها فى هذه القطيعة • وهى ستسر
 حتما عندما تراه ، مهما كان لها من اولاد آخرين • وفى الوقت نفسه ستغفر
 نهائيا ما لقتته من سوء معاملة سابقة فى أسرة والده •

وكلما مر يوم ولم يبداها بعد بالزيارة والمودة يكون غير شاكر لله ولوالديه
 على : نعمة الخلق والوجود الى هذا العالم •

١٠٦ - انى شاب متزوج ومن المنوفية اعمل مدرسا بمحافظة كفر الشيخ •
 وبعد الزواج اردت ان تسافر زوجتى معى الى محل عملى فغضب
 والدى • ويصر على بقاء زوجتى فى منزل عائلتى الذى يعيش فيه
 هو وأخواتى • فماذا اصنع ؟ •

• هل اصرار الوالد هنا على ابقاء زوجة الابن فى منزل العائلة يعود
 الى الحرص على الاحتفاظ بما يسهم به الزوج من مرتبه فى نفقات الأسرة لقاء
 معيشة زوجته مع أفرادها ؟

(١) لقمان ١٣ - ١٤ •

أم أن اصراره على بقائها بعيدة عن محل عمل الزوج هو للحفاظ على
الزوجة نفسها وعدم الثقة في مباشرة الزوج مسئوليته نحوها ؟ .

ان كان الأمر يرتبط باستمرار الاسهام فى النفقة العائلية فهذا الصنيع
منه طريق خاطيء لحصول الوالد من ابنه الموظف على مساعدة مالية .
والطريق السليم هو أن يكشف ابنه بحاجته فى غير تستر وراء تصرف قد
يسئ الى علاقتهما ببعضهما أو الى علاقة الزوج بزوجه ، كمنع الزوجة هنا
من أن تذهب مع زوجها الى مكان عمله .

وان كان الأمر يتعلق بعدم ثقة الوالد فى مسئولية ابنه أمام زوجته اذا
سكن معها بعيدا عن أسرة والده . فلماذا شارك الأب نفسه ابنه فى أتمام
عقد زواجه على زوجته ؟ . ان قبول الزوجة فى منزل أسرة الوالد للزوج
دليل على رضاه هذا الوالد بزواج ابنه منها ، وعلى حسن ظنه به فى قيامه
بمسئولية الزوجية .

● ان والد الزوج هنا ليس طرفا فى عقد الزوجية . وليست له ولاية
على الزوج طالما دخل ابنه عقد الزواج وهو فى سن الرشد . وليست له كذلك
سلطة شرعية فى التدخل فى أمر هو من خاصة الزوجين وحدهما ، ان ليس
بحاكم ولا صاحب ولاية عامة . واستمراره فى منع الزوجة من أن تعيش مع
زوجها فى محل عمله قد تكون له نتائج سيئة عديدة : على عمل الزوج نفسه ،
وعلى نفسية الزوجة ، وعلى مستقبل العلاقة الأسرية بين الزوج من جانب ،
ووالده وأخوته من جانب آخر .

● والزوج فى نظر الاسلام له ولاية على زوجته . وولايته حق له
طالما يقوم بالانفاق عليها : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم
على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » (١) ومقتضى حق الزوج هنا أن يمكن
من معايشة زوجته .

والزوجة فى نظر الاسلام أيضا لها حق على زوجها فى معايشته
والسكن معه : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » (٢) . فامسك الزوجة
بعيدا عن الزوج هو نوع من « الفصل » المنهى عنه فى قوله تعالى : « فلا
تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » (٣) . فقد كان الأمر سائدا فى الجاهلية ،

(١) النساء : ٣٤ .

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

(٣) البقرة : ٢٢٢ .

وهو عصر المادية الجارفة ، أن يتجر الرجال الأقارب بالنساء فى زواجهن فيحولون بين الزواج لفائدة مادية تعود عليهم من قبلهن .

والوالد بامساكه الزوجة عن أن تسافر مع زوجها لفائدة مالية تعود عليه من امساكها . . أشبه فى تصرفه بتصرف الماديين فى عهد من عهود المادية الطاغية التى لا تؤمن بالله واليوم الآخر . . أى لا تؤمن بروحية فى حياة الانسان .

❶ والزوج هنا له اذن الحق – كل الحق فى استصحاب زوجته معه وفى الإقامة سويًا فى مكان عمله . وعليه أن يتخير فقط طريقًا هادئًا لاقتناع والده بسفر زوجته معه . اذ ربما يكون الوالد صاحب نية حسنة ولا يبغى الا الخير من وراء تصرفه هذا .

ربقدر لباقة السائل فى معالجة مشكلته المطروحة هنا . . بقدر ما يحافظ على المودة والصفاء فى علاقته بجميع أفراد الأسرة . ومن بينهم الوالد والزوجة .

١٠٧ – انى من عائلة كانت لها ثروة وجاء ، ولكنها الآن ضعيفة ماديا وأعمل الآن ممرضة فى احدى الوحدات الريفية . وقد تقدم لى شاب مدرس باحدى البلاد المجاورة : حسن الاخلاق متدين ، ويعرف أسرتنا وأريد الزواج منه وأبى يرفض لأنه من أسرة رقيقة الحال لا حسب ولا نسب له . وأبى يريد زواجى من رجل مسن غنى . فما الراى ؟

❷ لبعض الفقهاء كلام فيما يسمى « بالكفاءة » فى الزواج ، فقَالوا مثلا : ان غير العربى المسلم ليس كفؤًا للعربية المسلمة ، وان العربى من غير قبيلة قريش ليس كفؤًا لعربية قريشية . وكذلك قالوا : ان من صنعتة كذا أو كذا ليس كفؤًا لبنت رجل تَعَلو صنعتة عن صنعتة . . حتى وصل ببعضهم الأمر الى أن قال ان بنت من هو على مذهب الشافعى ليست كفؤًا لابن من هو على مذهب أبى حنيفة .

❸ والشافعى – مجارة لبعض الفقهاء فى التوسع فى معنى الكفاءة الزوجية وتصنيف انواعها – يرى مع ذلك أن زواج غير الاكفاء ليس حراما ولا يرد به الزواج . فان رضى به الاولياء صح العقد وكانوا عندئذ فى نظره

تاركين حقهم فيما يسمى بالكفاءة . وإذا لم تعلم الزوجة أو أكرهت على غير
كفؤ لها فلها فسخ الزواج ان شاءت . لما يروى من حديث : ان فتاة جاءت
للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته
فجعل لها الأمر : اما ان تفسخ العقد أو تجيزه . فقالت قد أجزت ما صنع
أبى . ولكن أردت أن يعلم النساء : أن الآباء ليس لهم من الأمر شيء .

● ولكن فيما يوحى به القرآن الكريم يفهم : أن الكفاءة فى الزواج
التي يطلبها الاسلام ليست كفاءة نسب ، أو صنعه ، أو مال . . . أو ما شابه
ذلك مما يطراً على الانسان وليس مقوماً أصيلاً فى سلوكه وانسانيته . ان
كتاب الله يقول : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ، ولأمة مؤمنة خير من
مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير
من مشرك ولو أعجبكم » (١) . ومؤدى ما يقوله : ان الوثنى المشرك وهو
المادى الذى لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ليس كفؤاً لمسلمة ، وان الوثنية
المشركة وهى المادية التى لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ليست كفؤاً لمسلم .
وانذ ليس هناك تكافؤ ولا تعادل فى المستوى وفى شرف الانسانية الذى من
شأنه أن يربط بين زوجين ، . . . ليس هناك تكافؤ بين من يدين بالوثنية المادية
ومن يؤمن بالله وحده . وهذا ما يحرص الاسلام على عدم وقوعه فى رباط
الزوجية .

واسلام الرجل والمرأة ان يجعلها فى مستوى واحد ويعادل بينها ،
ويكون كل منهما كفؤاً للآخر فى عقد الزوجية . والكفاءة المطلوبة فى الزوجية
هى كفاءة الدين .

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأن الزواج بقوله : « اذا
جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه - أى زوجوه » .

ووقع على عهده عليه الصلاة والسلام ، صور عديدة من الزواج ليس
فيها تعادل ولا كفاءة على نحو ما استنبط الفقهاء المتأخرون . من صنوفه
الكفاءة الزوجية الكثيرة .

١ - فقد كان مولى بن بياضه - وهو يسار - عبداً رقيقاً وكان يتخذ الحجامه
صنعة له ، ولم تكن بالصنعة الشريفة عند العرب اذ ذاك ، ومع ذلك
أوصى الرسول بنى بياضه بأن يزوجه منهم اذا طلب ، أو يتزوجوا منه
اذا أرادوا .

(١) البقرة : ٢٢١ .

٢ - وكذلك أوصى عليه الصلاة والسلام : بأن تتزوج فاطمة بنت قيس القريشية أسامة بن زيد وقد كان مولى له .

٢ - كما يروى أن أخت عبد الرحمن بن عوف - وهي قرشية - كانت متزوجة بلال بن رباح بعد أن اعتق .

● والسائلة لها الحق في أن تتزوج من تؤثره بسبب دينه ، وإن لم يكن ذا نسب وحسب في عرف التقاليد التي كثيرا ما نسايرها ، دون نظر إلى ما يستهدفه الدين لصالح الترابط بين المؤمنين .

١٠٨ - امرأتى خطبتها أُمى ووافقت عليها ، فلنا منى : أن هذا يحفظ علاقة الود بينهما في المنزل . ولكن الآن أبى وأُمى على عكس ما توهمت . لا يطيقانها ، وهى لا تسيء اليهما . وحفظا على رضاها وراحتى خرجت من المنزل وأقمت بعيدا عنهما ، وأصلهما . وهما يدعوان لى وحدى بالانجاب من غيرها ويتمنيان زوالها ولا تذب لها . فهل أطلقها ارضاء لهما ؟

● ان الطلاق فى الاسلام شرع لرفع الضرر فى المعاشرة الزوجية ، أى فى المعاشرة بين الزوج وزوجه ، سواء أكان الضرر من الزوجين معا أو من أحدهما . ولم يكن لارضاء الوالدين بسبب غضبهما على الزوجة . وقوله تعالى : « المطلق مرتان ، فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان » (١) . يوضح أن سبب الطلاق يعود الى الزوجين وحدهما . فجعله مرة بعد أخرى ، كى يراجع كل منهما علاقته بالآخر فى مدة العدة ويعيد تقييم الوضع لهذه العلاقة ، وطلب بعد هذه المراجعة أن يكون الوضع هو وضع الرضا بالمعاشرة بين الطرفين مستقبلا ، أو وضع الفرقة بينهما فى إنسانية وتهذيب .

وإذن الطلاق ليس وسيلة للانتقام ، كما لا يكون وسهولة للارهاب والتهديد . وإنما هو حل أخير لمشكلة نفسية لا يستطيع أى حل آخر أن يكون بديلا عنه .

(١) البقرة ٢٢٩ .

● وتآزم العلاقة بين والديك من جانب وزوجك من جانب آخر يعود الى أثنائية الوالدين قبل أن يعود الى موقف معين سبباً تتخذه زوجتك حيالهما . فهي غير مذنبه اطلاقاً ، كما جاء فى كتابك . وأثنائية أى انسان لو تركت وشأنها لا تبني فى العلاقات الانسانية ، وانما تهدم . ولذا يجب الصبر - مع اللطف والملين - فى معاملة الوالدين ، فى الوقت الذى تعبر فيه لزوجك عن رضاك عنها والتمسك بها . والأيام وحدها كفيلة بحل أزمة العلاقة بين الطرفين ، طالما التزمت طريق الحكمة .

● !ما انجاب الولد فذلك مرهون بإرادة الله وحده : « لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذاكراً واناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً ، انه عليم قدير » (١) . فلا يكن عدم انجابك الولد الآن من زوجتك القائمة معك بسبب يثير غضبك عليها وتشتريك بذلك مع والديك فى اضطهادها . فربما الخير فى وضعك القائم الآن .

١٠٩ - انى مدرس أحبيت زميلة لى واتفقنا على الزواج . ولانى اعتقد فى « المشايخ » ذهبى لأصدهم أستشيريه ، فطلب اسمها ثم عمل بعض العمليات الحسابية وقال : ابتعد عن هذا الطريق فلن تسعد معها . فما الراى ؟

● ان جزءاً أصيلاً فى رسالة الاسلام هو القضاء على الخرافة والاحتراف بالدين والعقيدة . وسورة الأنعام تحكى طرفاً من الاعتقادات الباطلة التى كانت تروجها الكهنة لصالح انفسهم . فكان الكهان باعتبارهم خدمة للأصنام يفرضون نصيباً لأنفسهم على ما يخرج للناس من الأرض ، أو ينتج لهم من الحيوان ، باعتبار أنه نصيب الأصنام ، على نحو ما يقول الله تعالى : « وجعلوا لله مما ذرأ (أى خلق) من المحرث والأنعام نصيباً فقالوا : هذا لله بزرعهم ، وهذا لشركائنا . (وهى الأصنام) فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ، ساء ما يحكمون » (٢) . فالقرآن هنا يندد بفعل الكهان واتخاذهم العقيدة وسيلة للاستغلال المادى .

(١) الشورى : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الأنعام : ١٣٦ .

● وكذلك يندد بخرافة أخرى كانت رائجة وشائعة بين المشركين بمكة . وكان يروجها كهانهم . وهى أن ما يخرج من بطون الحيوان من الأولاد حيا لا يحل للنساء الأكل منه ، وحل أكله قاصر على الرجال وحدهم . فان خرج ميتا فهو شركة بين النساء والرجال فى حل الطعام منه « وقالوا : ما فى بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وان يكن ميتة فهم فيه شركاء ، سجنزيهم وصفهم (أى يجازيهم على اختلافهم وتفرقتهم فى الحل والحرمة بين الذكور والاناث) انه حكيم عليم » (١) .

● كما يندد بخرافة : أن الجن يشاركون الله فى علم الغيب . مع أن الله خلقهم كما خلق غيرهم : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم » (٢) . ومقتضى أن الله خالق وهم مخلوقون . . انه وحده يتفرد بالكمال المطلق فلا يشاركه أحد سواه فيه . ومن كماله المطلق : الا يطلع على الغيب موجود آخر بغير اذنه وارادته : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم » (٣) .

● وهكذا يتنديد القرآن الكريم للخرافة يفسح الطريق للواقع والعلم ، ويغلقه دون الأوهام والارهاصات ، ودون الظنون والدجل واستغلال نزعة التصديق فى الإنسان .

● والجواب على سؤال السائل هو فى اتباع ما يرشد الله اليه فى كتابه العزيز ، وليس فى مسلك المحترفين بنزعة التصديق فى الانسان .

١١٠ - كيف تعرف الفتاة أخلاق من سيشاركها ، من غير اتصال فى فترة الخطوبة ؟

● ان مجتمعات أخرى - غير المجتمعات الاسلامية - تطول فيها فترة الاتصال بين الفتى والفتاة . . تمهيدا للاتفاق على الزواج بينهما . وتعرف

-
- (١) الأنعام : ١٢٩ .
(٢) الأنعام : ١٠٠ .
(٣) الجن : ٢٦ - ٢٨ .

هذه الفترة : بالتجربة السابقة على الزواج • وتشبهه : « البروفة » لى شىء :
يراد له : أن يكون ملائماً للمقياس الخاص به •

ولكن « تجربة الزواج » فى تلك المجتمعات صحبتها – وتصحبها –
مأسى لا عداد لها ، بالنسبة للفتيات • وهى تجرية للتغريب •• أكثر منها
تمهيدا لزواج جاد ، رغم ما تقدمه فيها الفتاة من صنوف التنازلات فى سبيل
حمل فتاها على الزواج بها رسميا • وكثيرا ما ثمر شهور ، بل وسنن ،
على هذه التجربة ولا تعرف الفتاة : من تعاشره فيها على حقيقته •

• والاسلام يعطى فرصة للفتاة فى أن تتعرف على زوجها المرتقب •
وذلك بما يعرف بالخطبة : ففى وقت الخطبة سترى وجهه ، وشكله ، وقوامه
•• وستسمع حديثه •• وستبادلته الحديث • وإذا كانت رؤية الوجه والقوام
تحدد الرغبة •• أو عدم الرغبة فى الشكل الخارجى للانسان •• فان الاستماع
الى الصوت فى الحديث •• وان المبادلة فيه : تكشف عن : مدى الرجولة
فيه •• وعن طريقة تفكيره •• والجانب الرئيسى فى حياته الذى يشغله ، أو
الذى يسيطر عليه • ويجوز أن يتكرر وقت الخطبة ، طالما ليست بين الاثنين
خلوة •• أى طالما كان مجلسهما مجلسا عائليا • وفى هذا المجلس يمكن أن
يتشعب الحديث • والزوجة المقبلة تسمع أكثر مما تتحدث •

هذا طريق لمعرفة من سيشارك الفتاة حياتها الزوجية • ومع هذا الطريق
طريق آخر • وهو الوقوف بالسمع ، وبالسؤال عن مسلكه : أهو مسلك
يتسم بالمسئولية فى العمل الذى يباشره ؟ أهو مسلك فى تصرفه الشخصى
يلتئم مع التقاليد الصالحة فى المجتمع •• أم يخرج فيه الى التقليد الأعمى
لسلوك المجتمعات الأخرى ؟ • أهو يؤدى واجبه نحو الله : فى الصلاة ••
والصيام أم لا ؟ •

فصاحب المسئولية فى العمل •• هو صاحب مسئولية فى الأسرة • لأن
الشعور بالمسئولية لا يتجزأ •

والذى يلتئم مسلكه الشخصى مع تقاليد المجتمع •• يتهيب الانحراف ،
والاندفاع فى الخروج عنها •• كما يكون وفيا لأسرته ولأولاده • لأن الوفاء
للتقاليد جزء من صفة الوفاء فيه على العموم •

والذى يؤدى واجبه نحو الله ، وبالأخص : واجب الصلاة •• وواجب
الصيام •• هو أمين على واجبه •• وأمين على أسرته • فإذا كان يؤدى

الواجب لمن لا يراه ، وهو الله جل شأنه ٠٠ فان أداءه للأمانة لمن يراه : كاسرته
مثلا ٠٠ يكون الزم ٠

وهذه الأسئلة الثلاث اذا كان الجواب عنها بنعم فهناك ثقة فى الرجل
اذ هو صاحب المسئولية ٠٠ وصاحب الأمانة ٠٠ وصاحب أداء الواجب ٠
وهو الانسان المتدين ٠

والفتاة المعاصرة ربما تنفر من كلمة التدين ٠ وترى المتدين أنه المتزمت ٠
ولذا ترغب فى الرجل العصرى ، وربما تؤثر : من يشرب ٠٠ من يقامر ٠٠
من لا يخجل من أى عمل قبيح يباشره ٠

ولكن الاسلام فى نظرتي الى المتدين : ينظر اليه على أنه صاحب
مسئولية ٠ والشعور بالمسئولية وحده كاف فى حسن المعاملة فى الأسرة ٠٠
وفى أداء الواجب نحو عمله ، ونحو من يعاشروهم ، على المدى القريب
والبعيد ٠ والزواج مسئولية ، قيل أن يكون عاطفة حب ٠٠ وحياء قد تصحبها
أزمات ٠ قبل أن يكون شهر عسل ، وأحلاما مستمرة ٠

١١١ - انى معيدة باحدى الكليات أفكر جديا فى أن ألبس زيا دينيا
(شرعيا) وقد فصلت بدلة لذلك : ساترة للبدن ٠ ولكن ما يحيرنى
هو غطاء الرأس ٠ فهل يجوز أن اصنع بوتيه ؟ أم لابد من وضع
الإشارب مع ملاحظة : أن المظهر العام له اثر كبير فى أن أكون
قدوة للتلميذات ٠ فما الراى ؟

② أحد أمرين : اما أن تلبس المرأة ما تستر به زينتها - وزينة المرأة :
بدنها وشعر رأسها - أو تكشف عن زينتها أى من بدنها وشعر رأسها : ما
تدفع اليه خطوط الموضة الجديدة كل عام ٠ فاذا هى لبست ما يستر بدنها
وشعر رأسها فقد أخذت بنظرة الاسلام اليها ، واحتفظت ببدنها كله على أنه :
زينتها ٠ كما جاء فى قوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن ، الا ما ظهر منها (أى
الا ما انكشف من البدن : ضرورة العمل أو الحركة ٠ وهو القدمان
والوجه) ٠٠ وكما جاء فى قوله : « ولا يضرين بأرجلهن (أى ياتين بحركات
معينة) ليعلم ما يخفين من زينتهن (أى من أبدانهن) » (١) ٠

(١) النور : ٢١ ٠

والاسلام فى نظرتة الى المرأة على أنها زينة كلها . لا يريد أن يجزاها الى مواضع . . مواضع : موضع منها : زينة وفتنة . . وموضع آخر منها : مبتذل ، وليس فيه أى اغراء . فما تستره من جسمها عندئذ هو موضع الزينة . . وما تكشف عنه هو مكان الابتذال منها .

فان رضيت أن تأخذ بنظرة فى الحياة غير نظرة الاسلام . . فلترض بتقسيم بدننا الى مواضع . وما تراه منه مبتذلا وليس زينة لها . . فلتكشف عنه ، حسبما تهوى .

● والاسلام فى تحديد نظرتة الى الانسان . . نظر اليه على أنه الموجود المكرم بين موجودات هذه الأرض . . وأنه الموجود المميز فيها . . وعندما نظر الى المرأة نظر اليها على أنها متميزة عن الرجل : بانوثتها . . وبعواطفها . . وبتركيب جسمها . ولذا كانت مطلوبة من الرجل : يعرض عليها الرجل ، ولا تعرض هى عليه .

فان هى كشفت عن بدننا - أى عن زينتها - كانت عارضة نفسها عليه . وبذلك تخل بنظرة الاسلام اليها . ومن يؤمن بالاسلام ، ويوافق على نظرتة الى الرجل والمرأة . . فلاضير عليه عند اتباع تعاليمه : من أن آخرين لا يسايرونه فيما يتبع . . واذا سلكت اليوم بعض المجموعات المهووسة من الشبان والشابات مسلكا يدعو الى السخرية . . والرثاء معا : ان فى مظهرهم . . أو فى سكناهم واقامتهم . . أو فى تصرفاتهم الشاذة ، ومع ذلك لا تعير نقد الآخرين لهم اهتماما . . فكيف يعير المؤمن بالاسلام نقد الآخرين له ، اذا حافظ على كرامته ، وفقا لتعاليمه . ان الأمر لا يتبع الشجاعة . . وانما يتبع درجة الايمان .

١١٢ - تزوجت ارضاء لوالدى على غير رغبتى . واذقت المر بسبب هذه الزوجة . وهى الآن حامل . فاذا ابقيتها اشقيت حياتى وأرضيت اهلى ، واذا خالفتهم حدث العكس : فما الراى ؟

● ان عقد الزواج لا يتم فى الاسلام الا مع توفر الارادة الحرة فيه : للرجل ، والمرأة على السواء . وهنا كان الايجاب والقبول ضرورتين فيه ، كتعبير عن هذه الارادة الحرة . والمرأة مع حياؤها لا بد أن تعطى اذنها فيمن تتزوج به . فان كانت ثيبا فاذننها قولها الصريح . وان كانت بكرا فاذننها سكوتها .

نعم قد يؤثر على ارادة الرجل فى اختيار المرأة كزوجة له : ما لها من مال ٠٠ او حسب ٠٠ او جمال ٠٠ او ترغيب اهله ٠ وقد يؤثر اى من هذه العوامل كذلك على المرأة فى اختيار الرجل : زوجها لها ٠ ولكن المسئول فى النهاية عن خطأ الاختيار الواقع تحت التأثير : هو صاحب الارادة نفسه ٠

❶ وشرعت الخطبة - وهى تعرف الرجل على المرأة ، على نحو يرضى بها كزوجة - كطريق لتكوين هذه الارادة الحرة عند الرجل والمرأة ٠ فيروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن الرسول عليه الصلاة والسلام قوله : « كنت عند النبى عليه السلام فاتاه رجل فأخبره بأنه تزوج امرأة من الأنصار (اى شرع فى زواجها) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظرت اليها ؟ ٠ قال : لا ٠ قال : فاذهب ، نانتظر اليها ، فان فى أعين الأنصار شيئا (اذ يقال : ان عيون الأنصار كانت زرقاء ٠٠ أو صغيرة) ٠ فالرسول عليه السلام نصح القادم عليه بالنظر الى من يريد أن يتزوجها حتى اذا استبان ما بها من صفة خاصة ، فيما بعد ، لا يكون قد خدع ٠ وبذلك يكون قلقا فى حياته معها ٠

❷ ويحكى فى الزوجة النموذجية رد الرسول عليه السلام على من : « قيل له : يا رسول الله : أى النساء خير ؟ ٠ قال : التى تسره اذا نظر وتطيعه اذا أمر . ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره ٠ وكظاهرة عامة لحسن اختيار الزوجة يروى عنه عليه السلام : « ان الدنيا كلها متاع ، وخير متاع الدنيا : المرأة الصالحة (وهى صاحبة الأهلية فى تربية الطفل ، وتدبير المنزل ، واستقامة السلوك ، والمشاركة بكل ذلك فى بناء الأسرة) ٠ »

❸ كل هذه - من الارادة الحرة فى اختيار الزوج أو الزوجة ، ومن الخطبة ، ومن الأمارات الدالة على أهلية الزوجة - تعتبر مقدمات ضرورية لتجنب قسوة الحياة الزوجية ، وسوء المعاشرة بين الزوجين ، وتضرر أحدهما بالآخر ٠

❹ ومع ذلك اذا تازمت الحياة الزوجية ، وضاق أحد الزوجين بالآخر بحيث لا يرى مفرا من الفرقة ٠٠ فالطلاق لا بديل عنه فى ابعاد الضرر ٠

ومما ورد فى سؤال السائل ان لم يملك من قبل : حرية الارادة تحت تأثير والديه فى رفض الزواج بزوجته التى يكرهها الآن ٠٠ فانه يملك الآن طلاقها ٠

فهو المعاشرة ٠٠ وهو الزوج ، وليس الوالد ٠ وهو المتضرر بما أكره عليه من حياة زوجية ، وليس أحد سواه : «فامسك بمعروف ، أو تسريح بإحسان» (١) .

١١٢ - فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها تعيش عندنا في احد الأضرحة .
وهي جميلة ، ونظيفة ، ومديمة للصلاة في أوقاتها ٠ وتعيش من فضل
الناس وصدقاتهم ٠ هل الأفضل أن تظل درويشة هكذا ، أم أن تتزوج
وتعيش ست بيت كما يعيش الناس ؟

● ان رسالة الله الحقبة التي تتمثل في الاسلام منذ أن جاء به ابراهيم ٠٠
الى محمد عليهما السلام : تقضى بعدم ترك الدنيا من أجل الآخرة ٠٠ كما
تقضى بعدم ترك الآخرة من أجل الدنيا ٠ والاسلام اذن ليس هو المادية التي
تدعو الى التركيز على الدنيا والمتع المادية فيها وحدهما ٠٠ وليس هو الروحية
التي تدعو الى اعتزال الدنيا من أجل عبادة الله ٠

رسالة الاسلام تدعو الى العبادة ٠٠ وتدعو في الوقت نفسه الى العمل
في الدنيا في سبيل الرزق والمعيشة ٠ يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا
إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون ٠ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل
الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٢) ٠٠ فالجمعة - والاجتماع في
صلاتها فرض عين وواجب شخصي - لم ير الاسلام أن يعطل اليوم كله في
سبيل أداؤها ٠ وانما اكتفى بترك العمل فيه ، منذ الأذان لها ٠٠ الى ان تنتهي
صلاتها ٠ ثم ساعات اليوم قبل ذلك ، وبعد ذلك : تكرر في سبيل الرزق والعمل
من أجل تحصيله ، ثم بقية الصلوات الأخرى ٠

وهكذا : الانسان المسلم يجب أن يجمع بين العبادة والعمل ، ويأخذ من
الدنيا ويسعى للآخرة : ان أخذ من الدنيا فبقدر أن لا يظلم نفسه ولا غيره ٠٠
وان سعى للآخرة فبقدر ما يحسن لنفسه وللآخرين معه في أمته : « قل من
حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل : هي للذين آمنوا
(أى هي حلال وغير محرمة على المؤمنين) » (٣) « وكلوا واشربوا ،
ولا تسرفوا » (٤) ٠

(٢) الجمعة : ٩ - ١٠ ٠

(٤) الأعراف : ٢١ ٠

(١) البقرة : ٢٢٩ ٠

(٣) الأعراف : ٣٢ ٠

ويروى عن انس : أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم : لا أتزوج . وقال بعضهم : أصلى ولا أنام . وقال بعضهم : أصوم ولا أفطر . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بال قوم قالوا : كذا . وكذا . ولكنى أصوم وأفطر . وأصلى وأنام . وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني « (١) .

والسعي في الدنيا يجب أن يكون لصالح العبادة . والعبادة في أدائها يجب أن تضيف أثرا على السعي في الدنيا . أي لا يكون السعي في الدنيا هدفا مستقلا ، ولا تكون العبادة في عزلة عن العمل فيها : فالذي يتجر بماله ويسيء إلى الآخرين بتجارته ، ومع ذلك يؤدي العبادات . فعبادته عندئذ في عزلة عن تجارته . ومثله من يعمل لغيره ، أو يشاركه الزرع والحراث .

● وما ورد في السؤال عن تلك الفتاة يفيد : أنها تؤثر منهجا غير منهج الاسلام الذي تقررت مبادئه في رسالة الرسول عليه السلام : وحيا بالقران . وتطبيقا في عمله . وتوضيحا في قوله .

١١٤ - تزوجت ابنة عمي ولم أنجب منها . وقد حدث خلاف أصر والدي والوالدي على أن أطلق زوجتي ، بحجة أن أهلها عملوا لي عملا لأعزل بها وأتركهم (الوالدين) مع أن هذا لم يحدث . ورفضت . وغضب أبي مني ، ثم رضخت للأمر بعد ذلك ، وطلقتها وتزوجت بأخرى . وأنا الآن غير مستريح ، وحزين . ولا أستطيع الحياة مع غير زوجتي الأولى . فعرضت على أبي وأمي أن أردنها فرفضوا . فما الرأي ؟

● الأمر في هذا السؤال لا يعود إلى الاسلام : فيما يحله . أو يحرمه في العقد الثانية : على الزوجة المطلقة طلاقا بائنا بينونة صغرى . وهي تلك المطلقة التي افتدت بالتنازل عن مهرها أو جزء منه وطلقت واحدة . أو تلك الأخرى التي طلقت طلاقا رجعيًا ثم انتهت عدتها دون أن يراجعها زوجها .

فللمسلم أن يتزوج واحدة . فأكثر . إلى أربع ، إن كان في مقدوره : العدل بينهن في الانفاق ، وفي المعاشرة . والا وقف الاذن بالزواج له : عند

(١) نيل الأوطار : ج ٦ ص ١٠٦ .

حد الواحدة . وذلك هو منطوق الآية في قول الله تعالى : « وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى (وهن بنات الشهداء في الغزوات والحروب) فانكحوا ما طاب لكم من النساء : مثنى . . وثلاث . . ورباع ، فان خفتم : الا تعدلوا فواحدة » (١) .

. . . والامر كذلك ليس امر الاسلام في عواطف الرجل وتقلبها بين الحب والكراهية . فحب الانسان . . . وكراهيته لانسان آخر ترتبط بظروف وعوامل لا دخل للتشريع الايماني في ايجادها . وانما هي عوامل البيئة . . . وعوامل الوفاق أو التفرقة بين الأشخاص . وهي تعود أكثر الى اللاشعور في الانسان ، قبل أن تخضع لمنطقه ومجريات الأحداث في حياته .

. . . والامر أيضا ليس أمر الاسلام - بعد أن بانث للناس هدايته - أن يبقى فريق من الناس على الاعتقاد في الخرافة : في العفاريث وما يمكن لها أن تأتي به مما يقيد الانسان في حركته . . . ويملى عليه صورة كئيبة لحياته ، أو لعلاقته بالآخرين .

• وانما هو أمر التربية . . . وتكوين العادات . فالسائل هنا أسعفه النمو البدني الى البلوغ الجنسي فتزوج . ولكن لم تسعفه التربية فيبلغ رشده النفسي والعقلي . . . ويستطيع لذلك أن يفصل في مشاكله ، بروح مستوحاة من مصلحة ذاته . . . ومنهج السبيل المستقيم في الحياة . وهو سبيل الهداية الاسلامية .

ولو أنه بلغ رشده العقلي لأدرك الحزبية البغيضة الهوجاء في مشورة والديه عليه بأن يطلق زوجته ، لأنها ابنة عمه فقط . ان الطلاق في الاسلام هو لرفع الضرر في الحياة الزوجية . . . أي في الحياة الخاصة والقاصرة على الزوجين وحدهما . وعندما يقول القرآن الكريم : « فامسك بمعروف ، أو تسريح بإحسان » (٢) . . . لا يقوله الا ليؤكد تصفية الحياة الزوجية الانسانية من شوائب الأضرار والبغضاء والخلافات . وهذا الوضع لم يكن قائما يوم ان طلق السائل زوجته التي هي ابنة عمه .

ولو أن والدي الزوج أطاعا الله فيما يقوله : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » (٣) .

(١) النساء : ٣ .

(٢) البقرة : ٢٢٩ .

(٣) الحجرات : ١٢ .

لوفرا على نفسيهما عصيان الله فيما أشارا به على ولدهما بطلاق ابنة عمه من غير ضرر في علاقتها به . . . ولوفرا كذلك على ولدهما : الحيرة والقلق في حياته الزوجية . . . ولأعطيا الدليل أخيرا على أن القربى لها حق وحرمة ، يجب أن تصان عن الزج بها في الخلافات . . . والخلافات الآثمة .

١١٥ - أنا فتاة في الثامنة عشرة من عمري تقدم لى ابن عم لى : للزواج ، وخطبني من اهلى . ولكنى أريد أن أتم تعليمى ، وأبى يرفض ذلك بحجة أنى مخطوبة . مع أن خطيبى فى الجيش ، ولم يحدد موعد الزفاف .

فهل من حق والدى : أن يصرمنى من التعليم لهذا السبب ؟

❊ الواقع أن المسألة فى نظر الوالد ليست مسألة « التعليم » بالنسبة لابنته المخطوبة . إنما هى مسألة « الاختلاط » . فإذا سمح لها بالتردد على قاعات الدروس - والتعليم فى أغلب أوضاعه مشترك - فإنه يخشى عليها ، كما يظن ، أن تتأثر بعوامل أخرى ربما تفسد عليها العلاقة مع خطيبها ، وبالأخص : أن خطيبها غائب عنها فى الجيش لا يراها الا فى فترات طويلة . والوالد حريص على اتمام زواجها ممن خطبها . فإذا تم زواجهما أمكن لها عندئذ أن تستأنف دراستها ، اذا كان وضع الزوجية بينهما يسمح بذلك .

❊ أما تعليم البنت - أو الابن - من حيث هو فليس للوالد أن يصد عنه ، طالما هو مقدور . إذ تحصيل العلم والمعرفة أول مطلوب لله فى أول سورة نزلت على الرسول عليه السلام من سور القرآن . وهى سورة العلق ، فى قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » (١) . فطلب القراءة كدربق للعلم .

ثم ان الله سبحانه قد وصف ذاته بالعلم ، فيما يقوله : « وهو الذى فى السماء اله ، وفى الأرض اله ، وهو الحكيم العليم » (٢) . فأضاف الى ذاته - جل شأنه - منتهى الحكمة وغاية العلم . وفى حديث الله عن ذاته للمؤمنين به

(١) العلق : ١ - ٥ .

(٢) الزخرف : ٨٤ .

على هذا النحو : دفع لهم على أن ينشئوا من عبادتهم آياه تحقيق بعض ما لذاته سبحانه من صفات ، تحقيقا نسبيا في ذواتهم هم • ومعنى ذلك : انه يجب على من يعبد الله تعالى : أن يتقرب اليه بالسعى الى العلم •• والحكمة •• والقدرة •• والغنى •• والاتقان والابداع •• والرحمة مرة •• والشدة مرة أخرى •• الى آخر ما له من صفات • ومن هنا يمكن فهم الحديث الشريف المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » •• فالقوة المطلوبة فى المؤمن هى قوة الايمان •• وقوة الاعداد والعدة كذلك • والعلم طريق من طرق اعداد الانسان القوى •• والقناعة طريق آخر لها •

• ثم من جانب آخر ليس التعليم وقفا على المدرسة •• أو الجامعة •• وإنما التعلم قد يأتى بقراءة الكتاب غير المدرسى •• وبالاستزادة من دراسة اللغات عن طريق « الحاكى » والأشرطة المسجلة ، أو البرامج الاذاعية المخصصة فى محطات الارسل المختلفة • وهذه وتلك : لا تحتاج الى تردد على قاعات الدرس •• ولا على الاختلاط الذى يخشى منه والد السائلة هنا •

ومنع الوالد لابنته المخطوبة هنا من اتمام التعليم : قد يرجع الى حبها •• وليس الى عقوبة لها •• أو تحكم فى ارادتها •

١١٦ - ما رأى الدين فى الذين يدعون الاتصال بالجن ، ويحضرونهم فى جلسات مظلمة خاصة ، يخبرون بالغيب ، ويعالجون المرضى • وكثير من الجهال يستمعون اليهم • فما الحكم ؟

• لا يشك أن هناك بين الناس قوى خفية تعمل فى ظلام المجهول فتسترق السمع • وتفترق بين المرء وأخيه •• والزوج وزوجته •• والولد وأبيه •• وتوسوس فى صدور الناس بما يسيىء اليهم والى غيرهم ، من غير أن تعرف ، ومن غير أن ينكشف أمرها • وهى جن لأنها مستورة ومتخفية ، وليست معهودة بين الناس • وهى ان تسترق السمع بين الناس تعلم غيبهم •• أى تعلم ما يقال عن بعضهم بعضا •

ولكن هذه القوى الخفية لا تعلم غيب السماء •• لا تعلم غيب الله ، ولا ما فى علمه • ولذا لا تعرف مصائر الناس ولا أقدارهم •• ولا زمن الأحداث الكونية ومكانها •• ولا ما تنتهى اليه المجتمعات فى سقوطها أو قيامها •

وما يتحدث به المؤرخون .. والاجتماعيون .. والسياسيون .. والاقتصاديون عن أحداث المجتمعات الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية .. وما يتحدث به كذلك علماء التحليل النفسى عن مستقبل الأفراد فى ضوء تاريخ كل فرد فى سلوكه وتصرفاته : هذا وذلك من باب الاستنتاج والتخمين . وان وقع ما يتحدثون عنه فهو من باب الصدفة ، وليس عن علم مؤكد .

● وعلم السماء - أو علم الغيب المنسوب الى الله سبحانه وتعالى - لا يعلم به الا رسول الله : ملك .. أو انسان . وعندما يرسل به الرسول ليلخ للناس فى رسالة الله يتحفظ عليه تحفظا شديدا ، بحيث يؤمن عدم تسريه لوجود ما ، حتى يعلم ويعرف بين الناس جميعا ، وبالقراّن اُنْتَهت رسالة الله ، وأصبح علم الغيب ما يدونه كتاب الله نفسه ، وانقطع عن الرسل : انسانا .. أو ملكا . يقول الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم . ان قد ابْلغوا رسالات ربهم ، واحاط بما لديهم ، واحصى كل شىء عددا » (١) .

وقد أوضح للقراّن بعد ذلك : استحالة : ان تعلم الشياطين - كما كان يدعى الكهان - علم الغيب أو علم الله ، فى سورتين من سوره . فى سورة الشعراء فى قوله تعالى : « وما تنزلت به الشياطين (أى ما نزلت للشياطين بالقراّن ، وهو من علم الله) . وما ينطق لهم (أى ما يصح ولا يجوز للشياطين ان تنزل بالقراّن كما كان يدعيه الكهان ، على نحو ما كانوا يدعونه بالنسبة لكهانتهم) وما يستطيعون (أى ولا يقدرّون كذلك على ان تكون لهم صلة ما يعلم الغيب) . انهم عن السمع لعزولون (فهم معزولون تماما عن سماع علم الغيب فى أية صورة ما ، وفى أى وقت ، وفى أى جيل ، (٢) . وفى سورة الصافات أو الملائكة فى قوله تعالى : « لا يسمعون الى الملا الأعلى (أى لا يمكن ان تمكن الشياطين من الاستماع الى العالم الأعلى وهو عالم الوجود الالهى) ويقنقون من كل جانب (وهذا كناية عن مطاردتهم . وبالتالى عن عدم تمكنهم من السمع) » (٣) .

● والقراّن بنقده ما يدعيه الكهان من صلة الشياطين بعلم الغيب : يبيد خرافة كانت شائعة ومسيطرّة على عقول الناس قبل بعثة الرسول عليه

(١) الجن : ٢٦ - ٢٨ .

(٢) الشعراء : ٢١٠ - ٢١٣ .

(٣) الصافات : ٨ .

السلام . وكان الكهان يحترفون بهذه الخرافة ، كما يحترف الآن من يدعون الاتصال بالجن فى وقتنا الحاضر ، كما جاء فى سؤال السائل .

والقرآن اذ يبىد هذه الخرافة ، ويعلم كذبيها وينفر الناس منها فى قوله تعالى : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ » تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (أى وأكثر الكهان كاذبون ، بالاضافة الى ما يلقى اليهم من كذب ، (١) . لا ينتظر أن تمحى الى غير رجعة من نفوس الناس واعتقادهم ، طالما فى المجتمعات البشرية : بسطاء ، يعيشون على الوهم فى التصور ، أكثر مما يعيشون فى واقع الحياة . وتلك سنة الطبيعة البشرية : يتفرق فيها الناس بين من يعتقد اعتقادا سليما . ومن يعتقد بالخرافة ، كما يتفرقون بين مؤمن بالله . وكافر به .

١١٧ - حضر عندنا « شيخ » يحمل أوراقا وكتبا . وقال : انه يعرف حساب النجم ، فقلت له : احسب نجم زوجتى ؟ فحسب . وقال : انها عتبة نحس ، وبرجها زحل ، وتجلب : الفقر ، والمرض لمن ياكلون معها ، وكان أبى جالسا يسمع هذا القول ، فدب النكد ، والخلاف بسبب هذا الرجل . وانتهى الأمر بالطلاق ، وتشرذم الأولاد . فما الراى ؟

❁ ان مقاومة الشرك والوثنية المادية التى جاء بها الرحى المكى فى القرآن الكريم : هى قضاء على الخرافة فى صورها المختلفة . وفى الوقت نفسه : هداية الى طريق الواقع الصحيح .

والاسلام برسالة القرآن يريد للمسلم أن لا يشرك غير الله سبحانه فى علم الغيب . يريد له أن يبتعد عن الزلل فى سيره فى الحياة . وعن الخطأ فى التفكير والاعتقاد . وعن الاعوجاج فى السلوك ومعاملة الناس .

ومن الخرافات التى يقاومها الاسلام : الاعتقاد فى علم النجوم وما يتقوله المنجمون ، اعتمادا على مواقعها : كأن يدعى : أن نجم كذا يجىء بالأمطار . . . ونجم كذا يأتى بالرياح . . . ونجم كذا يأتى بالقحط وارتفاع الاسعار . . . ونجم كذا يأتى بالوباء . . . ونجم كذا يأتى بالحروب . . . ونجم كذا يسعد . . . ونجم يشقى : من اقترن مولده بموقع معين من مواقعه . وهكذا . . .

(١) الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٢ .

وفى هذا يروى عن الرسول عليه السلام : « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر » . والسحر مذموم ومنهى عنه . فالاعتماد فى معرفة الغيب على غير ما لله - وما لله هو ما جاء فى كتابه - يعتبر شركا فى الاعتقاد . والشرك يبعثه الاسلام لأنه يوصل الى المزالق فى الحياة . ويقيد الانسان فى حركاته وتصرفاته بما لا ينفع وقد يضر فى واقع الامر . وهو يريد للانسان أن يكون طريقه فى الحياة مفتوحا : يتعرف على الوجود والواقع بتجاربه ، وادراكه . ويتعامل مع غيره فى ظل هداية الله : لا يعتدى ، ولا يظلم . ويجد فى السعى ولا يتواكل . وينشد التخلق بأخلاق الله وصفاته فى عبادته اياه . والله هو العليم . والحكيم . والقادر . والغنى . والمبدع . والخالق . الى آخر ما له من صفات .

● وهذا الشيخ الذى يحمل أوراقا وكتبا - كما جاء فى سؤال السائل - هو محترف بعلم الغيب . ويدعو الى الشرك بغير الله . والاحتراف بالاعتقاد هو أخطر شيء على الانسان ، وعلى انسانيته . وهو بلاء يصيب الكثيرين فى قسوة وفى غير رحمة . وقد أصيب به السائل عندما طلق زوجته ، اذ اعتقد أنها مصدر نحس لمن تعاشره كما أنبأه النجم . ولا شئء يقلق الانسان أكثر من : أن يرى أسرته تفككت ، فأبعدت زوجته . وشردت أولاده . وتبدد نشاطه . وكثرت همومه وأحزانه .

وكسب هذا الشيخ من حديثه عن النجوم ومواقعها وآثارها فى سعادة الانسان وشقاؤه : ليس كسبا حراما فقط ، وانما هو مضاعف الحرمة لكثرة ما ترتب عليه من ضرر لغير واحد .

● أما الرأى : فالسائل يجب أن يرجع الى الله ويتوب اليه ، ويسأله أن يغفر له ما ارتكبه من اعتقاد فى باطل . ويراجع زوجته ان كانت ما تزال فى عدتها . أو يعقد عليها ان كانت قد بانت بينونة صغرى . والله يلهمه الصواب ، بقدر ما يخلص له فى التوبة .

١١٨ - خطبى أحد الأشخاص ، وقرا الفاتحة بحضور العديد من أهلى ، وتمت الخطبة ، وهو مسلم ويصلى وطيب جدا . ولكنه يحاول تقبيلى ويقول : انه ليس حراما ، لأن الأمل جميعا قرأوا الفاتحة معه . وهذا دليل على الموافقة على الزواج . فما رأى الدين فى هذا ؟ وهل يجوز أن تتزين له ؟

● الخطبة ليست هى عقد النكاح . فالخطبة تبیح فقط : أن ينظر الرجل

الى المرأة ٠٠ وتتنظر المرأة الى الرجل بما يتيح لكل منهما الفرصة للتعرف على الآخر ، وبما يوحى بالقبول أو بعدم القبول لدى كل منهما ٠ فللرجل أن ينظر الى وجه المرأة ويديها ، ويتحدث معها بحضور محرم لها ٠ وللمرأة أن تفعل نفس الشيء بالنسبة للرجل ، وبحضور محرم لها كذلك ٠ ويروى في هذا حديث المغيرة رضى الله عنه : أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما (أى فان نظر كل من الرجل والمرأة الى الآخر : اذا أدى الى القبول ، كانت العلاقة بينهما أكثر دواما) » ٠

أما عقد النكاح - وهو عقد الزواج - فانه يتيح للزوجة أن تبدى زينتها لزوجها ٠ وزينتها جميع بدنها ٠ يقول تعالى : « ولا يبدين زينتهن الا لبعوثهن (أى لأزواجهن) » (١) ٠

وإذن : الخطبة لا تتيح للرجل أن يرى من خطيبته أكثر من وجهها ويديها ، فضلا عن أنها لا تتيح له : أن يقبلها ٠ لكن له أن يراها أكثر من مرة ، فقط في حضرة محرم لها ٠ والحكمة في ذلك : أن الخطبة لا ينبغي أن تنتهي الى ندم ٠ أو الى ما يسوء الى المرأة : ان لم تنته الى الزواج والى سعادة فيه ٠

والتقليد غير الاسلامي في المجتمع اللادى يضع المرأة موضع التجربة : وهى اما أن تقبل أو ترفض بعد اختبارها ، وذلك لا يرى هذا التقويل غضاضا فى أن يقبلها خطيبها ٠ أو يسلك معها مسلكا وراء ذلك ، طالما ينظر اليها على انها موضوع للاختبار ٠ كما يرى هذا التقليد أن الزوجية تمر بمرحلتين : احدهما مرحلة ما يسمى : « بتجربة الزواج » ٠

❶ وما تذكره السائلة بعد ذلك من جواز : التزين ، للخطيب ٠٠ أو عدم جوازه : فان كان المقصود من التزين هو : الاعداد للقاءه ، وهى حسنة الملبس والمنظر ، لتسره برؤيته اياها : فليس فى ذلك ما يمنع ٠ وان كانت تقصد بالتزين : اثارته ، وتحريك انفعالاته ، أو خلق جو لالهاوب احاسيسه نحو المرأة : فذلك غير جائز شرعا ٠ لأن القرآن عندما حرم على النساء أن لا يضرين بأرجلهن ليبدن ماخفى من أبدانهن فى قوله تعالى : « ولا يضرين بأرجلهن ليبدن ما يخفين من زينتهن » (٢) ٠ قصد الى منع اثاره الفتنة ، والى الحيلولة دون اغراء الرجل الأجنبية بالمرأة الأجنبية عنه ٠ والمرأة فى فترة خطوبتها لم تنزل أجنبية عن خطيبها ٠ وعقد الزواج وحده هو الذى يجعلها حليلة ، أو غير أجنبية عن زوجها ٠

(٢) النور : ٣١ ٠

(١) النور : ٣١ ٠

والاسلام فى نظرتة الى الخطبة ٠٠ وفى نظرتة الأخرى الى عقد النكاح ، وما يترتب على كل منهما : يريد أن يؤمن المرأة من الانحدار الى المسالك الوعرة فى حياتها ٠٠ وفى الوقت نفسه يريد أن يرتفع بها فوق السلعة فلا تكون موضع تجربة ٠ وانما مظهرها يدل على مخبرها ٠ فهى انسان له كرامته وله شخصيته ٠ ويسر الرجل أن يكون زوجا لمن له هذه الكرامة ، وقد تجنبت مذلة التجربة ٠ ويسر المرأة أن يكون زوجها ممن احتفظوا بانفسهم ، بعيدا عن الدخول فى مغامرات : تدفع اليها شهوة الحيوان ، دون منطق الانسان ٠

١١٩ - هل يجوز : اقامة فتاة مع خطيبها فى رمضان لتطهوه له ، وذلك قبل عقد الزواج ؟

● ايضا : اقامة الفتاة مع خطيبها فى سكن واحد هو تقليد غريبى ، دفعت اليه عوامل اجتماعية ، ودينية ، واقتصادية ٠

وأما فى الاسلام فخطيبة الرجل لم تزل أجنبية عنه ، لا يحصل له أن يخلو بها ، فضلا عن أن يسكن معها فى سكن واحد ٠ فيروى عن جابر : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فان ثالثهما الشيطان » ٠

ثم اذا كانت الخلوة بالأجنبية فى شهر رمضان فان ذلك يزيد فى الحرمة ٠ لأنه انتهاك لحرمة الشهر المبارك ، وداع الى الفتنة فيه ، وهو الشهر الذى يتقى المؤمن بصومه : الفتنة ، ويتجنب المعاصى والانحرافات ٠

ان خطبة الرجل للمرأة لا تحل له سوى النظر اليها والحديث معها ، بقدر ما يدعوه الى زواجها ٠ وطالما عقد الزواج فى الاسلام ليسر لا تعقيد فيه ٠ فلا معنى لاطالة الخطبة ، فضلا عن السكن معها ودعوتها لأن تطهوه له الطعام فى معاشره غير مشروعة ٠

● ان عقد الزواج فى الاسلام ايجاب من المرأة أو ولى أمرها ، وقبول من الرجل أو من ينوب عنه ٠ وتوثيق العقد على يد موثق خاص هو عمل ادارى ، قصد به المحافظة على حقوق الطرفين ٠ وهو بذلك عمل تنظيمى لا دخل له فى صحة العقد ٠ والمهر فى الاسلام هو تعبير فقط عن رغبة الرجل ،

وليس ثمنا : « وآتوا النساء صدقاتهن (أى مهورهن) نحلة (أى عطية وهدية) » (١) . ويجوز لذلك أن يكون المهر غير مسمى كتعليم المرأة مثلا . وإذا تعثرت العشرة الزوجية ، بحيث تصبح ضررا على الطرفين ، أو على أحدهما . فقد شرع الطلاق للرجل ، والخلع للمرأة .

وبهذا الوضع للعلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة ، لم يعد هناك مكان لاطالة الخطبة ، ولا لاختبار المرأة أثناء خطبتها .

ولكن الغرب الذى اتخذه المسلمون منذ القرن التاسع عشر : معلما ، وماديا لهم فى سبيل الحياة الاجتماعية والسياسية ، بدلا من الاسلام ، هو الذى يعقد على الشباب المسلم حياته اليومية ، ويشكل علاقة أحد الجنسين بالآخر ، ويدفعه الى تقليده فيما يسلك ، وفيما يفكر .

* * *

١٢٠ - هل يجوز الاتصال بامرأة قبل عقد الزواج على أساس انه سيتزوجها فيما بعد ؟

● « زواج التجربة » كما يسمى ، أو الاتصال بالمرأة جنسيا قبل عقد الزواج عليها تمهيدا لاختبار صلاحيتها معا فى معايشة زوجية شرعية . هو أمر واند من الحضارة الغربية على المجتمعات الاسلامية . ويعتبر نشازا أو غير واقعى ومنطقى مع مبادئ الاسلام فى الزواج والطلاق .

اذ الزواج فى الحضارة الغربية - وهو الزواج الكاثوليكي ، أو البروتستنتى ، أو الأرثوذكسى - يقوم أصلا على عدم الانفكاك ، أو على الدوام المطلق . وليس هناك طلاق فى الكنيسة الكاثوليكية وإنما هناك فسخ للعقد يصدر من محكمة دينية عليا ، بناء على أسباب معينة . والاصلاح الدينى - وهو أساس الكنيسة الأنجيلية أو البروتستنتية . أخذ بمبدأ الطلاق ، يصدر به حكم من محكمة بناء على توفر مبررات معينة أيضا . ومعنى ذلك : أن انتهاء عقد الزواج ليس بيد الزوج وجده . كما هو الحال فى الاسلام .

ثم هناك من العادات فى هذه الحضارة ما يقلل من شأن الرجل المطلق أو المرأة المطلقة ، وما يحول أيضا دون تولى الرجل المطلق بعض الوظائف العامة فى الدولة ، كإمارة على امتحانه .

(١) النساء : ٤ .

ولعدم وجود الطلاق بيد الزوج ، أو الخلع بيد المرأة ، ثم لنظرة التقليل الى الرجل المطلق أو المرأة المطلقة فى الحياة الاجتماعية كان هناك نوع من الاحتياط والتريث فى اتمام عقد الزواج . ثم كان التفسخ والتحلل فى العلاقات الجنسية بفعل تكسب المرأة ودخولها الحياة العامة فى مساواة أو شبه مساواة مع الرجل ، ساعدا على أن يتحول الاحتياط والتريث فى اتمام عقد الزواج الشرعى .• الى تجربة فى المعاشرة الجنسية ، واتصال بالمرأة قبل عقد الزواج .

● اما الاسلام فقد أعطى الرجل حق الطلاق ان تضرر بالمعاشرة الزوجية كما جاء فى قوله تعالى : « الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان » .• كما أعطى للمرأة ان تضررت كذلك حق الخلع ، فيما ورد فى نفس الآية : « فان خفتن ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افقتن به » (١) . وهكذا : لا اكراه فى الحياة الزوجية ، وانما هى معاشرة انسانية كريمة . ولأن أمر الفرقة وفصم عرى الزوجية ارتبط بالرجل وبالمرأة ، دون ما سواهما ، لم يكن هنا من داع للدخول فى « تجربة » قبل الزواج ، تمهيدا لعقده ان نجحت التجربة .

على انه من جانب آخر ينظر الاسلام الى المرأة على أن لها حرمة ، تتمثل فى عرضها ، وعفافها ، وكرامتها .• فان هى أخضعت للتجربة الجنسية أصبحت كالمسلعة التى لا يشتريها مشتر الا بعد أن يتزوجها .• وما جعل المهر فى الاسلام كهدية من الرجل للمرأة ، الا للحفاظ على كرامة المرأة .• فالمهر فى حقيقة أمره ترجمة لطلب الرجل وسؤاله المرأة .• وهى بقبولها المهر كانت مسئولة منه وليست سائلة له .• وهذا مما يوقر لها الحياء .

وحديث ابن عباس : « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم » .• كاف فى وضوحه : فى تحريم اتصال الرجل بالمرأة قبل الزواج .• والاسلام بتحريمه هذا الاتصال غير الشرعى قبل عقد الزواج كان منطقيا مع مبادئه : فى الطلاق وفى عقد الزواج معا .• فمبادئه تساقط الطبيعة البشرية ، ولا تحملها على التحايل ولا على الخداع .•

(١) البقرة : ٢٢٩ .•

١٢١ - خطبني شاب أحبه ، ووافق أهلي ودفع المهر ، ولكن أمي انكرت المهر ، لأنها تريد زواجي من ابن عمي الذي لا أريده ، فما حكم الإسلام ؟

(١) الزواج في الإسلام ليس تجارة ، وعقده ليس عقد صفقة من الصفقات تخضع للمزايدة . والمهر فيه ليس الا عنوانا ظاهرا على الرغبة النفسية من جانب الرجل . ولم يكن ثمنا كما يحاول بعض المشتغلين بالفقه أو بعض الغرياء عن الإسلام أن يصوروه .

وعندما يذكر القرآن الكريم في قوله تعالى :

« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا وانما مبينا ؟

« وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا » (١) .

••• ثم تشير الآية الثانية منهما وهي : « ••• وقد افضى بعضكم الى بعض » الى ما قد يفهم منه أن القرآن ينكر على الأزواج استرداد المهر من زوجاتهم عند مفارقتهن بسبب حصولهم بالفعل على المقابل بعد الدخول بهن ••• فان هذه الآية لم تقصد اطلاقا الى أن عدم المطالبة برد المهر هو بسبب الدخول بالزوجة . وانما تقصد فقط الى توبيخ من تسول له نفسه المطالبة برد المهر في هذه الحالة والى أن ذلك لا يليق بما يجب أن يكون عليه الزوج من مستوى انساني فاضل في معاملة زوجته عند مفارقتها . وهذا المستوى الانساني الفاضل المطلوب من الزوج هو ما ورد في آية اخرى في قوله تعالى : « المطلق مرتان ، فامسك بمعروف أو تسريح باحسان » (٢) .

اذ الاحسان هو حسن المعاملة والتهديب في السلوك . وليس في المعاملة الحسنة والسلوك الانساني الكريم أن تشح نفس الزوج فيطالب زوجته بالمهر ، وقد افضى كل منهما الى الآخر ووقف على سره وأسر نفسه يوما ما .

ويدل على أن المهر في الإسلام ليس ثمنا . وانما هو بالأحرى تعبير عن رغبة الزوج في الزواج بمن يرتضيها زوجة له ••• أن الرسول صلى الله

(١) النساء : ٢٠ - ٢١ .

(٢) البقرة : ٢٢٩ .

عليه وسلم زوج بعض صحابته كما جاء في رواية سهل بن سعد - من امرأة على صداق هو : تعليمها بعض سور القرآن الكريم .

واذن قيمة المهر لا ينبغي أن تكون عائقا في اتمام الزواج .

(٢) أما اختيار المرأة للرجل ورايها فيه فله اعتباره في صحة العقد نفسه والفرق فيه بين الثيب والبكر هو في مباشرة العقد مع الرجل : « الثيب أحق بنفسها . والبكر تستأذن في نفسها ، واذنها صماتها (أى سكوتها) » . كما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية ابن عباس . ومعنى ذلك أن البكر البالغة اذا زوجت بغير اذنها لم يصح العقد . وقد ثبت في رواية أخرى لابن عباس أن جارية بكرا أتت رسول الله عليه وسلم فذكرت أن أباه زوجها وهي كارهة فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم . كما ثبت أن خنساء بنت خذام زوجها أبوها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله فرد زواجها وفسخ عقده .

١٢٢ - انا طالبة بالطب ولى زميل متدين ، وأسرتة مدينة . . تحايينا ، ثم خطبني ، ووافق أهلى على الخطبة . . واشترطت أسرتة أن لا اتم تعليمي ، وأن ابقى فى المنزل . ولكن أبى رفض هذا الطلب . لأن التعليم سلاح وحصن لى . وأنا حائرة . . فما الحكم ؟!

● أن مضمون « البقاء » فى المنزل للمرأة - حسب العادات المألوفة - هو : المحافظة وصونها من الوقوع فى أخطاء تحول بينها وبين أن تكون أما أو زوجة صالحة .

وأن مفهوم « التعليم » - حسب العادات أيضا - هو الخروج والتردد على الحياة العامة التى تعرض الفتاة أو المرأة بالاحتكاك فيها للزلل ، وربما لعدم الصلاحية مستقبلا للأمم والزوجية المستقيمة . ومن هنا ينشأ الخلاف حول البقاء فى المنزل ، أو الخروج منه .

ولكن ليس البقاء فى المنزل بعاصم من الخطأ ، ولا الخروج منه للتعليم بداع للزلل . بل العبرة بالتربية وبالتكوين فى حياة الطفولة ثم فى وقت المراهقة .

لان المرأة المسلمة ان نصحت بعدم التبرج : « ولا تبرزن تبرج الجاهلية الأولى » (١) . فليس التبرج هو عدم الخروج من المنزل . وانما هو الكشف عن بدنها للآثار الجنسية ، أو الاتيان بحركات تدفع نحوها الرجل الغريب عنها ، تحت تأثير اغراء هذه الحركات وحرمة « التبرج » اذن شرعت منعاً لاعتداء الرجل على المرأة من جانب ، وللحيلولة دون ابتذال المرأة من جانب آخر .

ولكن خروج المرأة من المنزل لعمل جدى - كالتعليم - لا يمنعه الاسلام ، الا اذا كان حد الاختلاط من شأنه أن يؤثر على عواطف المرأة ويدفع بها الى مباشرة ما يسيء اليها مستقبلا في علاقة اسرية جديدة لها .

والسائلة هنا في مرحلة تعليمها العالى في الطب وقد خطبت لمن تحبه وهو متدين ورضيت بتدينه . فان ذلك عامل قوى يدفعها دائما الى أن تفكر في مستقبل أسرتها الجديدة التى ستتكون منها ومن خطيبها كما يرجو هذا الخطيب ، وليس فى البحث عن زوج آخر .

اذ الأمر الذى تحرص عليه الفتاة وهى فى سن الزواج - أينما تكون - هو رجلها المقبل . وقد تنزل قدماها وهى فى طريقها الى هذا الرجل المقبل . ولكنها لا تقصد الى الزلل بحال ، كما لو تيقنت أن الرجل الذى بقربها لا يكون زوجا لها فى المستقبل ، لا تنزل معه اطلاقا فى علاقة ما .

ان الفتاة بطبيعتها لا تستهدف الحياة الجنسية فى غير علاقة مشروعة . الا اذا أرغمت بسبب ما - كالاغراء أو الاكراه - على الخروج على هذا المبدأ . وأهم عامل فى الاغراء هو الوعد بالزواج ، ومن ثم ليست للسائلة حاجة للوقاية من الاغراء . اذ الوقاية متوفرة لها آنئذ .

أما التعليم وكونه سلاحا أو حصنا فان أمره هذا يتجلى فى العالم المادى والعلاقات المادية القائمة بين طرفين ، كلاهما ينشد المبادلة المادية . ولكنى أميل الى أن الزوج المتدين - كما هو الوضع فى سؤال الطالبة - يهتم بالتعليم لذاته ولغاياته الانسانية .

وهذا جانب يحرض عليه الاسلام قبل أن يحرض على قيمته المبادلة المادية .

(١) الأحزاب : ٢٣ .

وتخلص الاجابة الى :

ان الطرف المصر على استمرار التعليم ، والطرف الآخر الراض لهذا الاستمرار ، كلاهما فى تشدهما فى الموقف يفضل :

أولا : أن هناك الآن شبه أمان فى خروج الفتاة لاستكمال التعليم بسبب العلاقة القائمة بينها وبين رجلها فى المستقبل القريب .

ثانيا : أن التعليم لغاية انسانية ، ولهدف كسب الرزق فى الحياة يقره الاسلام ويؤكدّه .

واذن لا تعارض هنا - من وجهة النظر الاسلامية - بين ما يطلبه الاسلام من صون المرأة عن الزلل والابتذال ، وما يطلبه كذلك من السعى لبلوغ مستوى انسانى كريم عن طريق التعليم .

* * *

١٢٢ - انا طالب جامعى متدين لى أخت فى سن المراهقة ، وطالبة فى مدرسة متوسطة ، استطاع فتى فى مثل سنها أن يخدعها ويومئها بحبه ، ووصل الينا الخبر ، فاتخذنا ضدها اجراءات شديدة من : توبيخ ، وضرب واهانة من ناحية ، وارشاد من ناحية أخرى .

ومنعناها من الخروج الى المدرسة ، ثم علمنا اخيرا : أنه يذهب لقابلتها عند مدرستها ، ووصل الخبر الى أهله وذاع ، فقررت أن أمنعها من المدرسة ، وبذلك يضيع مستقبلها فى التعليم . فما
الرأى ؟

● هل يضمن السائل : أنه لا يتصل الشاب بأخته فى منزله ، أو فى الطريق منه واليه عند قضاء حاجتها من خارجه ؟

● هل يضمن انه لا يكتبها مباشرة على المنزل ، أو على عنوان آخر لاحدى صديقاتها ؟

● وهل يضمن انه لا يتواعد معها عن طريق طرف ثالث مقرب اليها
أو اليه ؟

ان ذلك كله وغيره من وسائل الاتصال واللعب معها ممكن ان يقع . ذلك لان اتجاه الحياة فى مجتمعاتنا اليوم - وفى المجتمعات المعاصرة جميعها - يدعو الى صلات الجنس فى غير قيود وفى غير رعاية للتقاليد ، وربما فى غير مسئولية شخصية عما تأتى به هذه الصلات ، مما كان يعتبر فيما قبل فضيحة أو معرة ، أى يعتبر أمراً خارجاً عن الف المجتمع وعاداته .

وهذا ليس معناه : أن ما يدعو اليه اتجاه الحياة المعاصرة سليم من الوجبة الخلقية والاجتماعية ، يجب اتباعه . ولكن معناه : أن المجتمعات المعاصرة لسبب أو لآخر تعنى بنظام الحكم السياسى ، أكثر من عنايتها بالسلوك الأخلاقى والانسانى المهذب فى صلات الأفراد بعضهم ببعض . وربما ينطوى نظام الحكم السياسى نفسه - بغية صرف النقد عنه - على تشجيع الانطلاق فى جانب الجنس ، أكثر من الحرية فى أى جانب آخر من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

ووسائل اتصال المجتمعات فى عالم اليوم بعضها ببعض أصبحت عديدة وميسرة . فما يحدث فى شمال هذه المجتمعات يجد صداه فى الجنوبى منها ، عن طريق الاذاعة والصحف اليومية والمجلات الأسبوعية . وأقمار الاتصالات اللاسلكية أضحت عاملاً مهماً وسريعاً فى ربط القارات بعضها ببعض . والتقدم العلمى والتكنولوجى سيزيد من قوة تأثير هذه الاتصالات .

ان الأسرة اليوم لم تعد تستطيع وحدها فى مجتمعنا المعاصر ان تتغلب على ما فى البيئة من عوامل الاستفزاز والتحرك للصلات الجنسية . والمدرسة بدورها لم تعد هى أيضاً بقادرة على التغيير الجذرى ، ان هى تعرضت للجانب السلوكى . فضلاً عن أنها هى أصبحت واقعة بالفعل تحت تأثير التيار الحديث .

ماذا تفعل الأسرة ، أو المدرسة ، فى مواجهة ما تقدمه المجلات الأسبوعية من أحاديث عن علاقات الجنس أو ما يقدمه التلفزيون على فترات قريبة من أفلام ، ومسرحيات وتمثليات تعرض العلاقة الجنسية بين تلميذات المدارس أو طالبات الجامعات مع زملاء لهن. فى المدرسة أو الجامعة ، على أنها من الأمور المسلم بها والمعارف عليها اليوم ، وعلى أن ما يضادها فى تقاليد المجتمع يعود الى الرجعية التى انتهى أمرها - أو يجب أن ينتهى - بالتقدم الحضارى المعاصر . . . ؟

ثم كيف تسمع البنات فى سن المراهقة الى نصح الداعى الى السلوك الخلقى المهذب باسم الدين ، وهى ترى صورة رجل الدين يتفكك بها من وقت الى

آخر ، كما يتفكه معها بنطق اللغة العربية الفصحى فيما تقدمه الأقسام والمسرحيات المنقولة على شاشة التليفزيون .

فمرة يظهر الدين فى صورة ماذون الناحية وهو صاحب لحية طويلة ، وعمامة كبيرة ، ولسان يتمشدد بالفاظ عربية غريبة ، وصاحب حركات وعبادات يبدو فيها النشاط ، ٠٠٠ وأخرى يظهر بعمامته ، وجبته ، وقفطانه ، فى صورة انسان متحلل من محرمات الدين فيعاقر الخمر ، ويزاول الرقص وهو فى نشوته حتى يسقط على الأرض ، أو فى صورة انسان متمرد فى حركات هزلية فى الاقدام على ارتكاب المحرمات .

● ولكن مع صعوبة الوضع للأسرة التى تعنى بالتربية الاسلامية ٠٠ فانه يمكنها أن تحد من تأثير هذا الاتجاه بالتعاون مع بعض المدارس التى تهتم بالتوجيه الخلقى .

على أن الوضع الخاص الذى جاء فى السؤال فانه يمكن لأخيها - لا عن طريق التهديد ، ولا عن طريق الوعظ - ولكن بالتحليل لمشكلتها أن يقنعها بالنتائج التى يعطيها هذا التحليل . إذ الشاب المراهق الذى يبادلها الحب اليوم وفى مثل سنها سيظل الى سنوات عديدة تزيد على العشر غير قادر على الزواج بها . والزواج هو الذى تنشده هى الآن من العلاقة القائمة بينهما فى الوقت الحاضر . وذلك الى أن يتخرج من التعليم الجامعى ، ان قيض له - وهو أمر محفوف بالشك القوى فى مثله - دخول الجامعة . فاذا لم يدخل الجامعة ، وهو على هذا النحو من مغامراته الحالية ، فانه يشق عليه أن يكسب مهارة فى عمل ما . وعندئذ سيبقى فى معيشته اما عائلة على أسرته ، أو متعطلا مشردا أو يكسب أجر عامل عادى ، وقلما فى هذه الحالة الأخيرة يؤدى عملا كذلك كإى عامل عادى . لا لضعفه البدنى وإنما لاهتزاز نفسه . وعدم مرانها على المشقة والصعاب فى كسب لقمة العيش منذ نشأته فى المنزل ثم فى المدرسة .

وأية بنت فى سن المراهقة تنتظر الزواج من مراهق مثلها بعد عشر سنوات فأكثر من بدء العلاقة الغرامية . ووضع مستقبله لا يبشر بأنه سيحمل مسئولية الأسرة والأولاد ، اما بسبب ضعف دخله ، أو ضعف نفسه ٠٠ تكون من البله بحيث لا يندم المسئول عنها على انقطاعها عن التعليم وعدم مواصلتها الدراسة ٠٠ إذ التعليم يعطى ثمرته فى حالة واحدة ، وهو أن يكون هناك لدى الراغب فى التعسليم ميل الى الكفاح فى الحياة من أجل الوجود الشخصى ، وإنما تعرف التقليد فقط ، ولو فى اللعب بالنار التى تحرقها .

١٢٤ - خطب لى والننى احدى بنات القرية ووافقته على ذلك ،

وطلبت من خطيبتي أن لا تعمل فى غيبط والدمها او غيبط اخر باجر ،
والا فلن اتزوجها ،

وعارضنى والدى ، وقال : اتركها تشتغل لتقضى حاجاتها وتسد
التراماتها ،

فما الحكم وما الواجب ؟ .

● الأمر بينك وبين والدك ، ان كلامكما نظر اليه من زاوية :

فالوالد عندما رضى بان تشتغل خطيبة ابنه وتعمل باجر خارج منزلها
فى الحقل ، نظر فقط الى أن الأجر الذى ستحصل عليه فى مقابل العمل سيحل
بعض مشاكلها المعيشية فى الحياة . وهو فعلا قد صرح - عندما عارض ابنه
بأنه - يتركها لتشتغل لتقضى حاجاتها وتسد التراماتها . -
ولم ينظر الى أن خروجها الى العمل من منزلها بعد خطبتها قد يتعارض -
قيما يظن - مع بعض مبادئ الدين من وجوب محافظة المرأة على حرمتها
الشخصية وعدم عرضها لمفاتن جسمها .

والابن عندما عارض فى عمل خطيبته خارج المنزل نظره من الزاوية
الثانية التى اغفلها والده عندما اختلف معه فى الزاوية ، وهى زاوية الحرمة
الشخصية للمرأة ، بينما لم ينظر الى الزاوية الاولى كلية .

والاسلام - فيما ارى - يفرق فى مغادرة المرأة لمنزلها وخروجها منه بين
امرين :

● أن يكون خروجها لعرض مفاتن جسمها واثارة الجنس الآخر
واغرائه .

● أو أن يكون خروجها لضرورة تدعو اليها معيشتها أو تدبير امر
اسرتها .

ولكى يسهل فهم الفرق بين الأمرين نسير الى الوضع الذى كان عليه
مجتمع الجاهلية قبل الاسلام كظاهرة من ظواهره العامة التى لم يرها
الاسلام لوضع مجتمعه الاسلامى . وهو المجتمع الانسانى الجاد الذى يجب
أن يحيا حياة سعيدة وهادئة ، بعيدة عن الاعتداءات ومثمرة فى التعاون
والتألف بين اقاربه .

فى مجتمع الجاهلية كانت تتبرج المرأة وتكشف عن زينتها مما تعتقد انه يثير الرجل ويغريه ويدفعه الى التوقف ببصره يرنو اليها ويشتهيها فيقبل عليها . وهى تتحاييل الى ذلك : مرة تكشف عن صدرها ، وأخرى تكشف عن ساقها بحركة خاصة تفتعلها . وكلما أصبح ما يرى منها وما تكشف عنه لاغراء الرجل مالوقا عنده ضعيف الاثارة والاغراء له ، تبدى زينتها ومفاتها فى مواضع اخرى لنفس الغرض ، وهو الاغراء والاثارة .

والرجل فى ذلك الوقت كان لا يعنيه من المرأة سوى ما يشتهي فيها كامرأة ، او سوى ما تملكه هى من مال . اذ كان يعيش فى بيئة عادية ، لا تقدر حق قدره الا ما يهواه فرج الانسان او معدته . ومن أجل ذلك كان يستخف بكل قيمة انسانية او روحية ، تحمل الانسان على تحقيق انسانيته دون التركيز على حيوانيته .

ودعوة الاسلام - عندما جاءت رسالته - الى المحافظة على الحرمة الشخصية للمرأة اتجهت فى النداء اليها الى كلا الجنسين : الذكر والأنثى على السواء فطالب الرجال والنساء معا لصيانة الفروج وفض الطرف والبصر ، ثم ناشدت المرأة على الخصوص بتفادى ما كانت عليه المرأة فى مجتمع الجاهلية السابق من عرض مفاتها وزينتها لاغراء الرجل واثارته ودعوته المكشوفة الى الاقبال عليها .

فقد يخاطب القرآن الكريم نساء الرسول صلى الله عليه وسلم . .
والمقصود طبعا نساء المسلمين جميعا - بقوله :

« وقرن فى بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » (١) .

... يقصد الى نهيهن عن اتباع ما كانت عليه المرأة فى سابق عهدها فقط . وامرهن هنا بالاستقرار فى المنزل - فى قوله : « وقرن فى بيوتكن » - لم يكن هدفه منع خروجهن على الاطلاق . وانما وجوب الاستقرار عندما يكون الخروج طريقا لها لاغراء الرجل واثارته بعرض مفاتن جسمها وما له من زينة طبيعية او صناعية .

والا فقد بارك الرسول عمل المرأة فى ميدان القتال ، وأجاز الفقهاء مشاركتها للرجال فى صلاة الجماعة . فهل كانت ستؤدى عملها فى ميدان القتال او تشارك فى صلاة الجماعة وهى مستقرة فى بيتها ؟ .

(١) الاحزاب : ٢٢ .

ان المرأة محرم عليها عرض مفاقتها وزينتها على اجنبى عنها وهى فى منزلها دون ان تخرج منه ،

••• وجائز لها ان تخرج من المنزل طالما تتطلب ظروفحياتها الخروج .

وان الشيء الذى لا يستسيغه الاسلام من المرأة ان ترى نفسها « سلعة » تحملها قدماءها وتسير بها هنا وهناك فى كل مكان للعرض والاغراء والمزايدة أو للانقضاض عليها وارتكاب جريمة الغصب معها .

* * *

١٢٥ - اثنى شابة متعلمة اعمل بالتدريس وقد وضعت التقاليد عندنا ابن عمى فى طريقى ووافق الأب على خطبته لى ولم يكن لى اى رأى أو مشورة رغم انه امى وسىء المعاملة ومنفر ولا تميل نفسى له . فما الحكم ؟ .

❶ هذا السؤال ينطوى على جانبين :

❷ الجانب الاول أنها خطبت على غير رغبة منها .

❸ والجانب الثانى انه سىء المعاملة ومنفر ولا تميل نفسها له .

وكلا الجانبين كفيل بفضم عرى عقد الزواج ان وجد فضلا عن الخطبة .

فيروى أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارقطنى عن ابن عباس :

« أن جارية بكر آتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت أن أباهما زوجها وهى كارهة فخيرها النبى عليه الصلاة والسلام » . اى أنه خيرها بين الفرقة والاستمرار فى عقد الزواج .

وعلق صاحب نيل الاوطار بقوله :

« وظاهر أحاديث الباب - باب اذن المرأة فى الزواج - ان البكر البالغة اذا زوجت بغير اذنها لم يصح العقد ، وأما الثيب فلا بد من رضاها من غير فرق بين أن يكون الذى زوجها الأب أو غيره .

وبناء على ذلك فصاحبة السؤال غير ملتزمة بالخطبة التى تمت أما الجانب الثانى وهو جانب : أنه امى وسىء المعاملة ومنفر ولا تميل نفسها اليه -

فهو جانب يحمل على الفرقة بين الزوجة وزوجها ان كان هناك عقد زواج اصلا . وبالأولى لا يدفع الى الزواج . فعقد الزواج شرع عندما تكون هناك مقدمات تدعو الى السكنى والمودة والرحمة بين الزوجين .

وماذكرته السائلة هنا يكون مقدمة - على الأقل من جانبها - تحول دون السكنى والاستقرار فضلا عن المودة والرحمة المتبادلة .

وبناء على ذلك فالسائلة - ومن على شاكلتها لا يلتزم بالدخول فى عقد زواج مع مثل هذا الرجل .

١٢٦ - بعض الناس اذا اصابهم السوء يدعون انه من الحسد ولهذا يحملون الاحبية والتعاويد . فما رأى الدين فى هذا ؟

● الحسد حقيقة موجودة . يقول الله تعالى :

« قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر الذفانات فى العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد » (١) .

... ولكن كيف تتحقق آثاره فى الانسان ؟ او كيف يصل من الحاسد الى المسعود ؟ هذا امر تفسيره لا يخلو من الهنات . لأن سر الأرواح والنفوس ، وكيف يتصل بعضها ببعض ، وكيف يؤثر بعضها فى بعض ؟ لا يعلم به الا الله وحده عالم الجهر وما يخفى .

وبما ان الحسد شر من شرور النفس البشرية فاتقاه لا يكون بحمل الاحبية والتعاويد . وانما يكون بالاستعانة بالله ، ككل امر يستعين فيه الانسان بالله على تجنبه او على قضائه .

الاستعانة بالله ليست التعبير عن طلب العون منه . وانما قبل ذلك ان يكون المستعين مخلصا لله فى دينه وملتزما واجباته فهو فى حقيقة امره اذ يستعيز بالله من الحسد متوكل عليه فى الوقاية منه . والتوكل على الله هو قبل كل شيء استنفاد لطاقته الانسان فى سلوك الطريق المؤدى الى النجاح . ولكى يتم هذا الطريق الى نهايته يعتمد على الله ويتوكل عليه .

(١) سورة الفلق .

والأحبة والتعاويز اتخذها المسلمون يوم أن ضعفوا وابتعدوا عن القرآن وعن اعتبار أنه مصدر هداية . واكتفوا بالانتساب الى الاسلام ويحمل بعض آيات أو سور قصيرة منه .

ان الحاسد صاحب نفس مظلمة ، وفى الوقت نفسه قصرت طاقاته عن ان يحصل فى الحياة من مالها وجاهاها ومتعها مثل ما لزملائه وأقرانه . فهو ينفث السموم حقدا عليهم ومتمنيا لهم زوال ما هم فيه من نعم ، ومن هنا كانت الاستعاذة بالله ينطق بها المسلم أصابه الحسد أم لم يصبه . لكنه يرجو الوقاية من شرور النفس البشرية فى وقت لا تضمر العداة لانسان ما ولا زوال النعمة من مال أو جاه لأحد .

* * *

١٢٧ - خطب لى اهلى فتاة وتم عقد القران ولم ارها الا ليلة الزفاف . وقد فوجئت بانها تكبرنى بعامين وقد صارحت اهلى برغبتى فى طلاقها فغضبوا وصرحت لها بشعورى نحوها فازداد عطفها على مع ملاحظة انى فى خارج البيت اكون اسعد من وانا فيه . فماذا اصنع وما الحكم ؟

أولا : كبر سن المرأة فى الزواج عن الرجل ليس عائقا فى استدامة العشرة فى عقد الزوجية وعلى العكس قد يكون كبر سن المرأة سببا فى رغبتها فى البقاء وحرصها على الزوج وعلى مصالحه الخاصة . وفعلا يصرح السائل بأنه عندما ذكر لها السبب الذى يدعو الى الطلاق وهو كبر سنها ازدادت عطفها عليه وتعلقا به .

وثانيا : ان الحب والكراهية قد يرجع امر كل منهما الى التصور النفسى وليس الى حقيقة قائمة لا تتغير . وعلاقة الزوج بالزوجة ليست دائما علاقة تنفيس جنسى . وانما بالأحرى هى علاقة تواد وتعاون فى الحياة وفى شأن بناء الأسرة وبالأخص فى تربية الأولاد وتنشئتهم .

وعلى أساس من هذا المبدأ ، وهو مبدأ : ان الحب والكراهية يرجع الى التصور النفسى أكثر مما يرجع الى حقيقة ثابتة لا تتغير - يجوز ان يتغير هذا

التصور ويجوز أيضا أن ينطوي هذا الوضع على خير ومصالحة للطرفين :
« فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (١) .

وثالثا : أن هناك طفلة وجدت بين الزوجة والزوج ، وهذه وحدها تكفى لأن
تجذب انتباه أبيها الى رعايتها وتوجيهها توجيها حسنا . فهي عامل
من عوامل المحافظة على بقاء عقد الزوجية وعلى بقائها فى حضانة
أمها ورعاية أبيها .

وفى رأى أن على السائل أن يحاول مراجعة نفسه فى صلته بزوجه
وعلى أن ينظر الى طفلته نظرة الأب الى ابنته . ثم بعد ذلك اذا وجد أن
استمرار الحياة الزوجية أمر مبعوض الى نفسه وأنه سيأتى بضرر عليه وعلى
أسرته المكونة من طفلته وأمها فأمامه الطلاق . والطلاق عندئذ آخر حل يلجأ
اليه الزوج انقاذاً لحياته ولحياة أسرته على السواء .

والرأى له ، والاسلام لا يجبر على جمع يترتب عليه الضرر لأحد الأطراف
أو لجميعهم .

١٢٨ - « ما الرأى فى بعض الناس اذا رزقهم الله ذكروا فرحوا واذا
رزقهم اناثا حزنوا ؟ »

● ان من أمارات تخلف الانسان فى تصويره للحياة أن يرى أن الذكر
افضل من الأنثى بين أولاده : « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا
وهو كظيم » (٢) . فجعل القرآن الكريم ذلك المظهر من الاكتئاب والحزن
عندما يبشر الوالد بمولود له هو أنثى . . . أمانة على عدم التحضر وعدم الفهم
المستقيم . لأن ذاك الذى يفضل الذكر على الأنثى فى الأولاد هو انسان
يحرص على أنانيته أكثر مما يحرص على أداء مسؤوليته . فهو يرى فى الذكر
قوة ينشدها ليستند اليها فى حياته ، بينما يرى فى الأنثى ضعفا يطلب لها
الحماية . مع أن الأمر قد يصير الى العكس .

(١) النساء : ١٩ .

(٢) النحل : ٥٨ .

وقيمة الانسان فى واقع امره ليس فى انه ذكر او فى انه انثى ، بل فى انه « انسان » فى تهذيبه وفى سلوكه وحسن معاملته واستقامة تفكيره . ولعل الانثى - اذا وجهت توجيهها سليما - اقرب الى ذلك الانسان المستقيم الناجح من الذكر . لأنها تجعل يحكم الفطرة استقامة التفكير وحسن السلوك وسيلة لقبولها فى الأسرة والمجتمع . وهذا القبول نفسه نوع من الحماية لضعفها او لما يظن انه ضعف فى عضلاتها وفى مراس هذه العضلات على التحدى لمصادمات الحياة .

على أن الانسان المؤمن يجب أن يؤمن بأن نوع الانسان فى خلقه - ذكر او انثى - من صنع الله وحده ، وما يأتى به الله للانسان خير له فى واقع أمره :

« الله ملك السموات والأرض ،

يخلق ما يشاء ،

يهب لمن يشاء اناثا ،

ويهب لمن يشاء الذكور ،

او يزوجهم ذكرا نانا واناثا ،

ويجعل من يشاء عقيما .

« انه عليم قدير » . (١) .

... فالله عليم بما يفيد وينفع وبما هو انسب واليق ، وقدير على خلق أى نوع من الانسان فاختياره للذكر او للانثى ليس عن عجز فى الخلق ، بل لحكمة ولمصلحة تتعلق بمن أنجب الولد .

وتصور افضلية الذكر على الانثى لدى بعض الناس أو كثيرا من الناس فى مجتمعاتنا المعاصرة ليس غريبا . لأن امارات الجاهلية فى السلوك والتصور لا ترتبط بالتخلف فى الصناعة ، انما ترتبط قبل كل شىء بالتخلف فى الايمان بالله على وجه الصحيح . اذ الايمان بالله هو ايمان بمستوى الانسانية فى ذاتها و « تقويم » سليم لخصائص الانسانية فى التصور والادراك ، والاعتقاد والمعاملة والسلوك .

وليس بلازم اذن ان يكون التقدم فى الايمان والانسانية مرتبطا بالتقدم فى العلم او الصناعة . . .

(١) الشورى : ٤٩ - ٥٠ .

١٢٩ - تعرفت بفتاة فى العشرين من عمرها • واحببتها حبا شريفا • ولكن الشيطان رافقنا • وسرنا معه الى نهاية طريقه • ووقعنا فى ماساة • وهى تنتظر وليدا بعد اشهر قليلة • ورغم حبي لها فانى مرتبط مع ابنة عم لى عقدت معها خطبتي • فماذا اصنع ؟

● علام يسال السائل هنا ؟

أيسال عن جريمة الزنا التى ارتكبها مع فتاة صغيرة غرر بها ؟

أم يسأل عن مستقبل الطفل غير الشرعى وهو الوليد المنتظر بعد أشهر قليلة ؟

أم يسال عن مصير خطبته مع ابنة عمه التى ارتبط بها من قبل ؟

أم يسأل عن زواجه بمن غرر بها ، تسترا على جريمته التى ارتكبها معها ، مع ابنة عمه ، تنفيذا لما ارتبط به فى أسرته ، ويجمع بذلك بين الاثنتين ؟

● أما جريمة الزنا - وهى جريمة اجتماعية أى تصيب المجتمع كله فى نظر الاسلام - فعقوبتها كما جاء فى قوله تعالى :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ،

« ولا تأخذكم بهما رافة فى دين الله ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ،

« وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (١) .

● وأما الوليد المنتظر فهو من سفاح ، وليس نكاح • ولا يثبت بالزنا نسب ، ولا ارث •

● والخطبة لابنة العم او لغيرها لا يثبت بها زواج • انما هى مقدمة لعقد زواج يقوم على الايجاب والقبول • ويجوز أن تنتهى الى غير الزواج • والشأن هنا فى الارتباط بخطبة ابنة العم وتنفيذ هذا الارتباط يعود الى الظروف الخاصة بالأسرة • وهو أمر يقدره السائل وتقدره أسرته معه أولا وبالذات •

(١) النور : ٢ •

● والجمع بين زوجتين فى حياة زوجية واحدة ، جوازه يعود الى الاستطاعة المادية فى الانفاق ، وكذلك الى استطاعة تحقيق العدل ، فيما بينهما . وهو عدل العواطف والاحساس قبل عدل القسمة والتوزيع .

وبعد فالشباب الذى يرتبط بخطبة ابنة عمه ، ثم يتعرف على فتاة فى سن العشرين فيخدعها ويفرر بها ويضع مستقبلها كامرأة فى الميزان ، اليس هو شابا مستخفا بالقيم الانسانية ، أو شابا أهوج وأحمق فى تصرفاته ، أو هو عديم الشعور بالمسئولية الفردية ؟

انه فى وصفه لا يخرج عن واحدة من هذه الصفات على الأقل ، ان لم يكن ممثلا لها كلها . والشيطان لم يجد اليه سبيلا الا بعد ان استخف به ، ولس هوجه ، وتحقق من فقدان الشعور بالمسئولية لديه .

ان الشيطان نفسه ليس بعيدا عن الاستخفاف بالقيم ، والحمق والهوج فى التصرف . وانعدام الشعور بالمسئولية . ان هذه الصفات هى اثار الشيطان أو هى الشيطان على الحقيقة . « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » (١) .

١٣٠ - الغل والحقد ما أثرهما ؟ وكيف عالجهما الاسلام ؟

● ان الغل والحقد والحسد وما شابهما من الصفات السوداء للنفس البشرية هى مصادر الشر فى المجتمع الانسانى . وهى فى الوقت ذاته عوامل هدم وقضاء على الفرد والمجتمع معا . فالفرد الحقود لا يعرف البناء بل طابعه السلبية ومحاولة تحطيم من هو أحسن منه وضعا أو حالا بعد أن يحطم نفسه هو . والمجتمع الذى يشيع فيه خلق الحقد لا يعرف الوحدة ولا يصل يوما ما الى تماسك . وكل ما له من عمل هو تبادل التمزيق حتى الفناء كمجتمع أو كامة .

وقد رأى بعض المذاهب الفلسفية المادية علاج الحقد فى المجتمع البشرى بين أفرادها بإبراز روح الصراع وتعميق معالمة وأثاره فى النفوس وشحنها

(١) القصص : ٥٠ .

بالبغضاء والكراهية ضد بعضها بعضا . وهو علاج أشبه بعلاج اطفاء النار
بزيادة فعاليتها فى الحريق وتوسيع رقعتها فى الهدم والابادة .

ولكن الاسلام استهدف من نظامه ومبادئه جملة أولا وبالذات اضعاف
روح الحقد وكراهية الغل فى الانسان والعمل على ملء القلوب بالمحبة ودفع
النفوس الى العمل المجدى فى الحياة .

وفى سورة الانشراح يبرز القرآن الكريم هذا الهدف على انه المنحة
الالهية اذا تحقق فى الانسان فيقول فيها - والخطاب موجه الى الرسول
الكريم صلى الله عليه وسلم « ألم نشرح لك صدرك » فيمتن عليه بشرح
الصدر . وقد شرح الله صدره بازالة الحقد من نفسه واحلال المحبة فيها
محله ، عن طريق الايمان بالله واتباع الهداية الالهية . وبذلك أصبح الرسول
عليه الصلاة والسلام قدوة وأسوة حسنة للانسان ومن أجل ذلك أيضا كان
خلقه العملى ممثلا لخلق القرآن الكريم فى مبادئه وأهدافه .

وتحقق للرسول الكريم فى دنياه بزوال الحقد من نفسه ما يتحقق
للمؤمنين فى آخرتهم من صفاء النفوس بعد زوال ظلمة الغل والحقد عنها
على نحو ما جاء فى قول القرآن فى وصف نعيم المؤمنين :

« وفرغنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » (١) .

وبزوال الحقد من النفس تزول همومها واحزانها ، تلك الهموم والاحزان
التي من شأنها أن تثقل الكاهل وتنقض الظهر من فرط عبثها وثقلها وهذه
النتيجة هى التي يشير اليها قول الله حل شأنه فى السورة نفسها :

« ووضعنا عنك وزرك . الذى انقضض ذكرك » .

كما ان الذى تصبر نفسه ويحب الآخرين معه فى امته بدلا من أن يحقد
عليهم يصبح على الهمة والشأن فى قومه . وذلك ماجاء فى خطاب الرسول
الكريم من قوله تعالى :

« ورفعنا لك ذكرك » (٢) .

(١) الحجر : ٤٧ .

(٢) الشرح : ٢ - ٤ .

والسبيل الى أضعاف الحقد فى النفس - ان لم يكن الى ازالته - هو الايمان بالله الذى له كل شيء والذى يخلق ما لا نعلم والذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، والذى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ، والذى جعل مع العسر يسرا كمبدأ فى الحياة لا يتخلف .

والحقد فى النفس البشرية وان كان يترجم أزمة فيها بسبب أو باخر كالتطلع الى ما فى يد الغير مع العجز البدنى أو الارادى أو الذهنى عن اللحاق بهذا الآخر . فالايامن بأن فى طيات العسر وفى وقت المحنة يوجد اليسر والفرج وأن اليسر والفرج يتفجر من العسر كما يتفجر النهار من الليل . هذا الايمان بذلك كفيل بالأ يجعل ضيق النفس بالأمر يتحول الى حقد على الغير والى تمنى زوال نعمته والى السلوك منه ومن نفسه كذلك مسلك السلبية . وبذلك يصون طاقاته من التبدد ثم يوجهها الى ما فيه بناء نفسه وخير غيره . وذلك ما يعنيه قوله تعالى فى هذه السورة : « فان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا » .

وعلى أية حال يجب على الانسان - لكى لا يجعل للحقد مكانا فيها يسود منه على تصرفاتها - ان يشغل الفراغ لديه بالعمل الجدى ، لا يكاد ينتهى من حلقة فيه الا ويستأنف الجد لحلقة أخرى . ويكون فى جميع ما يعمل متجها الى الله وحده يستلهم منه استمرار الايمان . والقوة على العمل أو العون على صفاء النفس وهذا معنى قوله جل شأنه :
« فاذا فرغت فانصب ، والى ربك فارغب » (١) .

فبالايامن الذى يحمل على العمل والاتجاه الى الله وحده تصفو النفس وتبعد عنها ظلمة الحقد وسلبيته .

١٢١ - فى بعض القرى يتخذ بعض الناس الشعوذة وسيلة للعيش . فهم يدعون تسخير الجن لقضاء ما يريدون . وبالسحر يفرقون بين الأزواج ، ويعقدون المحبة والكراهية للبعض . فما حكم هذا ؟

● السحر - كما يعرف فى بعض كتب الأحاديث التى جاءت بحكمه -

(١) الشرح : ٧ - ٨ .

هو مزاولة النفس الخبيثة لأقوال وافعال ، يترتب عليها أمور غير عادية :

● ويدعى أن له تأثيرا فى القلوب بالحب والبغض ،

● وفى الأبدان بالألم ونحوه .

● والنوع الخاص منه بالحب كان يسمى فى الجاهلية قبل الاسلام بـ « التولة » وينقل من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شرك لأنه استعان بغير الله وتوجه الى مخلوق من مخلوقاته . فيروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله :

« ٠٠ ان الرقى ، (والرقية فى الجاهلية كانت باسم وثن ، أو جن ، أو شيطان) والتمائم ، (وهى خرزات « كانت تعلقها العرب تقاة النظر والحسد ») والتولة ، (وهى نوع من السحر يحبب الرجل فى امراته) .
٠٠٠ شرك . فقالت امراته - امرأة عبد الله بن عمر - زينب : كيف هذا ؟ والله كانت عينى تقذف - (دمعاً) - فكنت أختلف الى اليهودى فيرقبها ، فتسكن .
قال : ذلك عمل الشيطان . كان ينخسها بيده ، فاذا رقاها كف عنها . انما كان يكفيك أن تقولى : ما كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

أذهب الباس ، رب الناس

أشف ، أنت الشافى ، لا شفاء الا شفاؤك لا يغادر سقما ، روى هذا الحديث أبو داود ، وابن ماجه .

والدعاء الذى كان يدعو به الرسول عليه الصلاة والسلام هنا على هذا النحو كان قبل نزول المعوذتين فلما نزلتا اكتفى بهما .

أما حكم السحر فيروى الترمذى والحاكم - وصححه - عن جندب رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« حد الساحر - أى عقابه - ضربه بالسيف ، »

وفى هامش كتاب التاج - تعليقا على هذا الحديث - جاء :

« ان من سحر فانه يقتل بالسيف . وعليه بعض الصحابة ، والتابعين ، ومالك ، واحمد بل قال مالك : انه كافر بالسحر فيقتل . ولا يستتاب فان توبته لا تقبل . »

وقال الشافعى : لا يقتل الا اذا عمل فى سحره ما يبلغ به الكفر .
فان قتل بسحره فالاجتماع على قتله ، .

● ذلك هو السحر فى موضوعه وفى حكمه على نحو ما ذكر فى الأحاديث السابقة . والظاهر أن علة تحريمه فى الاسلام - كما يستفاد من هذه الأحاديث - هى : أن مباشرته توصل الى الشرك . على معنى أنه يقوم على الاعتراف بقوى أخرى فى الكون لها قوة تأثير ، نفعاً وضراً على الناس ، بجانب الله جل جلاله ، وأبغض شيء فى الاسلام هو الشرك بالله .

● لأنه يفرق بين الناس فيما يعتقدون ويعبدون ، فلا تصل بينهم وحدة فى التوجيه ولا فى الهدف .

● ولأنه يذهب بكرامة الانسان ، إذ قد يعتقد الانسان بقوة التأثير عليه فى موجود هو أقل أو أحقر منه ، أو هو لا يملك فى الواقع نفعاً ولا ضراً .

● ولأنه يصرف الناس عن العمل الجدى ، القائم على النشاط البناء للانسان ، الى التواكل والتراخى .

والقران الكريم فيما يقصه فى سورة البقرة عن اتباع بعض أهل الكتاب من اليهود ما كان شائعاً من تعلم السحر والشعوذة على عهد الامبراطورية البابلية - قبل دعوة المسيح عليه السلام - واستخدام ذلك - كما كان يعتقد يومذاك - فى التفريق بين المرء وزوجه يخبر أنه لا يقع به ضرر لأحد ، لم يشأ الله وقوعه ، كما يندد به - بالاحتراف به ، ويعقد بعقابه بالحرمان من متاع الآخرة :

« . . . ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل : هاروت ، وماروت . وما يعلمان من احد حتى يقولوا : انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا : لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به انفسهم ، لو كانوا يعلمون . . . » (١)

(١) البقرة : ١٠٢ .

وهذه كلها عوامل فى تحريم السحر أو الشعوذة وجعله شركا . وهو من مخلفات الجاهلية كضروب الشرك الأخرى ، التى يجادل الاسلام بعقيدة « التوحيد » القضاء عليها فى المجتمع الانسانى صاحب المستوى الكريم ، صاحب الجد والاعتزاز بسعيه وعمله الخلاق .

وما يطلبه الاسلام من التوكل على الله فى قوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ امره ، قد جعل الله لكل شىء قدرا » (١) ليس هو المتراكل والمتراخى المنهى عنه . وانما هو الاعتماد على الله والاستعانة به فى تحقيق ما يعزم الانسان على تنفيذه من مسعى أو عمل . بعد أن يجمع له طاقاته البشرية ، وفى مقدمتها رواية العقل وحسن التقدير للامور . والغرض الأخير من التوكل على الله هو البعد عن البقاء فى دائرة الاستناد الى مخلوق أو موجود قد يكون مصدرا لمذلة الانسان ، قبل تكريمه والأخذ بيده .

أما كيف يتم السحر . . . ؟ وكيف ينفذ بتأثير الساحر الى هدفه فى القلوب حبا وكرها والأبدان سقما وضعفا . . . ؟ . . . فذلك أمر لم يتضح تماما حسب مقاييس المعرفة الجارية التى توحى بالاطمئنان والركون الى نتائجها فى سلوك الانسان .

* * *

١٣٢ - بعثت سيدة تقول : ولدت بنتا جميلة ، ماتت وعمرها عشرة أشهر بعد زيارة لبعض المعارف . وقيل انهم حسدوها . فهل الحسد يقبل ؟ . ولماذا لا يؤثر الحسد الا فى أمثالنا نحن « العرب » ؟

● اليس موت البنت الجميلة كان صدفة بعد الزيارة لبعض المعارف ؟

وهل كان الحسد ، على التأكيد ، هو العلة المباشرة لموتها ؟

وهل ما قيل : ان المعارف حسدوا البنت الجميلة - كان قولاً صحيحاً وصادقاً ؟ .

كل هذه الأسئلة ، تستطيع السيدة التى بعثت بهذا السؤال أن تجيب

(١) الطلاق : ٣ .

عنها على سبيل القطع . واذن ليس هناك ما يقال عن الحسد من أنه كان السبب في الوفاة للبنت الجميلة .

والقول الآن : عن الحسد في ذاته ،

وعن قبول أثره كحقيقة في اعتقاد العرب على وجه الخصوص ، كما تدعى السائلة .

● والحسد حقيقة لا شك فيها . لأن الحسد هو تمنى زوال نعمة الغير . الحسد والحقد سواء . هو الرغبة في السوء للأخرين . اليس بعض الناس يحقد على بعض . اليس الفقير ومن لا يملك يحقد على الثرى ومن يملك ؟ . اليس قليل الأهلية والكفاية يحقد على صاحب الصلاحية والكفاية الموهبة ؟ . اليس الأمى أو الجاهل يحقد على منزلة صاحب المعرفة والخبرة ؟ . اليس من يصاب بعاهة يحقد على من هو سليم البنية ؟ .

والحقد اذن موجود في حياتنا الدنيوية ، وسيظل موجودا فيها ، طالما يتنافس الناس على الاستمتاع بها ، وطالما يختلف سعيهم في تحصيل متعتها ، وطالما لا يرحم كبيرهم صغيرهم ولا يوقر صغيرهم كبيرهم ، ولا يتعاون بعض مع بعض .

الحقد يجعل من النفس الحاقدة عاملا يسعى للهدم دون البناء ، وللإيذاء دون النفع . وجعل من النفس الحاقدة نفسا تتأمر مع السوء والمصائب ، ولا تفرق في تأمرها معه بين قريب أو بعيد أو جار قريب أو بعيد .

هل يقابل الانسان الذى لا يحقد على غيره من يحقد عليه بنفس تلك الروح الشريرة التى تنطوى عليها نفس الحاقد ؟ . أم أنه يجب أن ينصرف الى عمله فى الحياة ، ويدع الأمر الى الله جل شأنه يحميه من سوء الحاقد وتمنيات الحاسد ؟ .

الأمر الثانى هو الذى يدعو اليه القرآن الكريم ، كما تذكره سورة الفلق :

« قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد اذا حسد » (١) .

(١) سورة الفلق .

وإذا اطاع الناس جميعا القرآن واستمعوا الى ما يطلبه هنا ، وما يطلبه في آيات أخرى من الانفاق في سبيل الله والتعاون على البر والتقوى - عندئذ سيخف أمر الحقد واثره في النفوس الحاقدة ، وعلى النفوس الأخرى التي تحقد عليها . أما إذا لم يطيعوا فحرب الحقد في زيادة مستمرة وعندما تبلغ أوجهها فسوف لا تبقى ولا تذر ، من أموال ، وأناس ، وأولاد ، وعمارة على الأرض .

● أما ميل العرب - في بعدهم عن التأثر بالاسلام - الى قبول تصديق « الحسد ، فيرجع الى طبائعهم وأمزجتهم التي كونتها بيئاتهم الفقيرة ، وجوهم الحار ، ونشاطهم المهمل . ولذا تكثر بينهم الغيبة والنميمة والحقد والوشاية والتجسس والتفاق . كل ذلك في سبيل الحصول على الدنيا ومتعها مع التفاوت الكبير في الطاقات على تحصيلها ، وضعف الميل الى العمل في سبيل السعى نحوها .

* * *

١٢٢ - ما رأى السدين في اسرة تأتي اليها خطيبة ابنها دون علم أهلها ، وتمكث مع خطيبها ساعات طويلة في خلوة وام الشاب تعلم هذا ولا تنكره ، مع انها تصلى وتصوم ، معذرة بأن ابنها رشيد في السابعة والعشرين من عمره . فما الحكم ؟ .

● ما يشوش على المسلمين في دينهم هو تلك الاعراف الرافدة الى مجتمعات المسلمين من غيرهم . فالمجتمعات الأخرى التي لا ترى الطلاق كحل للعلاقات الزوجية ، وان كانت ترى انفصالا بدنيا فيها ، أو تنتهي اليه في اجراءات معقدة وعن طريق القضاء ، خلقت من الاعراف والتقاليد ما يبيع للمرأة والرجل أكثر من نظر كل واحد منهما للأخر قبل الخطبة فالزواج . حتى أن بعضا من الاجتماعيين هناك في عصرنا الحاضر يدعو الى « زواج التجربة » قبل الزواج الرسمي ، وبعضا آخر منهم يطلب إلغاء الزواج الرسمي كلية ، والاكتفاء بالمعاشرة الجنسية بين الاثنتين في حرية ، في قيامها ورفضها . وهذه الحرية في قيام العلاقة الجنسية وفي رفضها هي التعبير عن القبول والايجاب ، أو التعبير عن الرضاء في الانفصال ، وان كان تعبيراً في صيغة غير محددة .

وهذه الاعراف والتقاليد الرافدة تصل الى مجتمعاتنا الاسلامية في سرعة . بالوسائل العديدة للنشر والارسال ، التي تتسم بالتقدم التكنولوجي .

وشبابنا فى هذه المجتمعات لم يزل يتأثر بالمجتمعات الأخرى ، تحت خداع « الحضارة » و « التقدم » . وهو لا يفرق فى الحضارة والتقدم بين ذلك النوع الذى تدفع به الآلة والآلية ، والنوع الآخر الذى يتصل بالانسان ومستوى الانسانية : فكل تقدم لانتاج الآلة والآلية يعتبره تقدما فى مستوى الانسان والانسانية . على معنى أن المجتمع الحضارى الآلى هو مجتمع حضارى انساني أيضا . فالآلة وانتاجها يمهد لقبول سلوك الانسان فى مجتمع الآلة ، على أنه سلوك انساني فى مستوى عال ، كذلك الانتاج الآلى فى مستواه الانتاجى الرفيع .

والاسلام فى يسر عقد الزواج وفى حله ، وفى تعظيم مسئولية الأسرة فى الأولاد وانجابها ، وفى تشدده لصيانة المجتمع من الجرائم الاجتماعية . وبالأخص جريمة الزنا - يبيع فقط للرجل والمرأة قبل الخطبة النظر من أيهما للآخر : « اذا خطب أحدكم المرأة أن ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها ، فليفعل » . فى رواية جابر رضى الله عنه .

ولكنه لم يبيع « الخلوة » بينهما ، لما قد يترتب عليها من آثار ، يأتى بها طيش الشباب ونزقه ، وهى آثار تسيء ولا تسر ، وربما للمرأة قبل الرجل .

فالشباب المسلم ليس بحاجة الى أن يقلد شباب المجتمعات الأخرى وبالأخص اذا علم الآن أن بعض هذه المجتمعات الأخرى - كالمجتمع السويدى - يسعى الى أن يقلد الاسلام فى مبدأ الطلاق عن غير طريق القضاء ، وبرضاء الزوجين فقط . حتى يخفف من نتائج التعقيد فى الزواج والطلاق ، وهى تلك النتائج التى تتمثل فى النسبة العالية الآن من الطقولة غير الشرعية وفى الموجة العارمة من الانحلال ، التى أصابت المرأة فى كرامتها وحياتها ، وجعلتها تعرض نفسها عرضا مبتذلا باسم الحرية والتحرر .

ولا شك أخيرا أن « الخلوة » التى يشير اليها السائل هى امر منكر . وسكوت الوالدة عنها لا يكفى فى انكارها اياها . كما يعتبر عدم وفاء لأهل الخطيبة من جهة أخرى .

لماذا لا يسارع الخطيب فى جعل هذه الخلوة أمرا مشروعاً بالعقد على خطيبته ؟ ثم هما فى حرية تامة ، وفى صراحة واضحة ، فى علاقة أحدهما بالآخر : فلا يحتاجان الى عزلة وخلوة يتخفيان فيها عن أعين الناس .

ان الدين يسر وليس عسرا ، وان الذى يعقده هو الانسان نفسه .

الاسلام يريد للمسلم أن يكون على وعى بمسئوليته فى الأسرة ،
لا يخادع ولا يتستر فيها ، كما يتستر السارق أو الجبان فى تصرفاته .

١٣٤ - عمرى تسعة عشر عاما ووالدتى هى التى تتولى امورى واخوتى
بعد وفاة والدى . خطبنى شاب مجند الآن ، وفيه كل المميزات الطيبة
ووافقنا عليه . ثم بعد ذلك تقدم لى رجل آخر متزوج وله ثلاثة
اولاد . وفى الحال وافقت امى عليه ، وأنا لم اوافق . فهل فى سبيل
طاعة امى اقبل الزواج من هذا الرجل واحرم اطفاله الأبرياء من
أبيهم ؟

● من حيث وضع الأم فى شئون الزواج للبننت من الوجة الفقهية فانه
تستحب مشورتها فحسب تطيبيا لخاطرها . ولكن ليس لها ولاية فى زواجها ،
لحديث ابن ماجه : « لا تزوج المرأة المرأة » . اذ الولى الشرعى فى الزواج
هو الأب وان علا ، والابن وان نزل .

ومن حيث موافقة البننت البكر ورضاها بمن تتزوجه فهو شرط أساسى
للحديث الشريف : « الثيب أحق بنفسها ، والبكر تستأمر (أى تسأذن)
وإذنها سكوتها » .

وفى رواية لأبى داوود واحمد أن « جارية بكرا (أى بنتا لم يسبق لها
زواج) جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت أن أباهما زوجها وهى
كارهة ، فخيرها النبى صلى الله عليه وسلم » (أى بين بقاء عقد الزواج أو
فسخه) .

والفقه الحنفى لا يشترط الولى اطلاقا بل للمرأة ، ولو بكرا ، أن توكل
غير وليها . ولها أن تزوج نفسها .

وبناء على ذلك فالشابة السائلة من حقها الا تطيع والدتها فيما وافقت
عليه من زواجها باب الأولاد الثلاثة وليست هناك معصية فى مخالفتها . ولها
الحق الكامل فى اختيار من تتزوجه مستقبلا .

ولكن الخلاف بين البننت وأمها - فيما يبدو - ليس من الوجة الفقهية
فى الجواز أو عدم الجواز ، وليس من الوجة الدينية فى المعصية والطاعة .
وانما هو خلاف يرتبط أكثر بمصير الزوجية من الوجة الاقتصادية :

فألام ترى ضمان مستقبل ابنتها فى الزواج يرتبط بالوضع المالى لأب الأطفال الثلاثة . فوضعه فى نظرها وضع مأمون ، رغم أن اولاده الثلاثة يشكلون مشكلا ، فى المستقبل لابنتها ، ليس بينها وبينهم فحسب ، وإنما أيضا بين البنت وزوجها .

والبنت تنظر الى الشاب المجند من زاوية أنه يقاربا فى السن ، وأنه ليست له مشكلة كتلك التى للرجل الآخر ، وتتغاضى عن الوضع المالى الذى له . وهو وضع لا يسمح - على الأقل فى السنوات الأولى من الزواج - بالاتفاق على أسرة مستقرة ، الا اذا كان هناك مورد آخر من عملها مستقبلا ، أو من مساعدة عائلية له .

والتفريق بين زاويتي النظر ليس سهلا . فيصعب الجمع فى شخص منهما بين شباب المجند وخلوه من المشاكل الأسرية من جانب ، والقدره الاقتصادية على الاتفاق لدى أب الأطفال الثلاثة وفارق السن ومشكلة الاولاد عنده من جانب آخر .

والرأى هو أن ترجىء السائلة - ولم يتجاوز عمرها الآن التاسعة عشرة - زواجها لفترة أخرى حتى ينتهى المجند من خدمته ، وتباشر الآن عملا أو دراسة تفيد منها فى حياتها المقبلة . وعلى الأم أن تخفف قليلا من عاطفة الحنو على ابنتها ، حتى لا تدفعها الى ما يعقد عليها الحياة وليس لها من التجارب ما تواجه به مشاكلها .

★ ★ ★

١٣٥ - تنتشر فى البيئات الجاهلة معتقدات ، وخرافات :

من ذلك ما تعتقده المرأة العاقر التى لا تلد : انها اذا ذهبت الى زيارة أحد « المشايخ » وكتب لها « ورقة » أو زارت بعض الأمكنة ودارت على بئر مخصوص بأحد الأضرحة ، فانها ستحمل .
فما الرأى ؟ .

❶ كثيرا ما نرى فى الأفلام : أن « صدمة » لانسان ما فى حادث من الحوادث أنسته الذاكرة . فلا يعود يتذكر ماضيه حتى أقرب الناس اليه ، وهم زوجته واولاده . وأن « صدمة » أخرى بعدها بسبب ما تعيد اليه الذاكرة ، يرجع بعضها الى الماضى القريب والبعيد على السواء .

و « الاعتقاد » في أمر ما عند مباشرته قد يحدث في « النفس » ما يؤثر على غدد الجسم ، مما يشبه « الصدمة » التي كانت في بادئ أمرها متجهة للبدن ثم تجاوزته إلى « النفس » . فالصلة بين البدن والنفس ليست صلة من جانب واحد ، وإنما هي صلة متبادلة : فمرض البدن يؤثر على أحوال النفس في تقاؤها وتشاؤمها ونظرتها إلى الحياة . ومرض النفس يؤثر على البدن في قلة الشهية نحو الأكل والشرب ، وفي ضعفه أو هزاله ، وبالأخص في المعدة وقرحتها .

والنفس القوية بارادتها وإيمانها تؤثر على شفاء البدن والتعجيل بنقاهته . والنفس الضعيفة في جبنها وهلعها تؤثر على البدن المريض في زيادة المرض وتأخير الشفاء أو النقاها . وكذلك البدن القوي يتحمل هزات النفس ، بينما الضعيف لا يقوى على احتمالها .

● فالعاقرة التي تحمل بعد دورانها حول بئر مهجور ، أو بعد حملها ورقة كتبها لها من تعتقد فيه من المشايخ ، ليس من البعيد أن يكون اعتقادها في ذلك - وهو اعتقاد نفسي - قد يؤثر على بعض الغدد الداخلية عندها ، ويحدث تغييرا في افرازها أو في نبضات القلب المفاجئة ، وربما بذلك يزول ما كان يمنع من الحمل .

وعندئذ ليست البئر المهجورة ، أو ورقة الشيخ هي صاحبة التأثير ، وإنما هو اعتقاد المرأة العاقرة فيما اعتقدت فيه . والبئر المهجورة وورقة الشيخ كلتاهما لا تضر ولا تنفع في واقع أمرهما .

ويلتبس عند كثيرات من المترددات - أو كثير من المترددين - أنه عندما وقع الحمل صدفة ، أن البئر أو الورقة هي ذات النفع والأثر . ولذا يتقربن إلى البئر أو إلى الشيخ بقرايين ، كما كان يتقدم في الماضي قبل الإسلام بقرايين إلى أصنام لا تضر ولا تنفع ، لأمر يقع صدفة ، ومن ثم تعبد ، ويصبح الأمر شركا بالله ، سبحانه وتعالى .

ولهذا ينصح الإسلام بعدم التصديق في مثل هذه الأمور ، ويعتد التصديق بها شركا لا يغفر أمره . فإله وحده هو صاحب التأثير في الكون كله ، وهو صاحب الفعل والخلق :

« لله ملك السموات والأرض ،

« يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء آنا ،

« ويهب لمن يشاء الذكور .

« أو يزوجهم ذاكنا وانا ،
« ويجعل من يشاء عقيما ،
« انه عليم قدير » (١) .

● ان الاسلام لا يريد لحياة الانسان ان تسير على « الصدفة » ولا يريد للانسان ان يربط نفسه « بصدفة » يتفاهل أو يتشامم بها . ان ارادة الله تصور ما يكون للحياة وللمجتمعات من قوانين : « ان الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس انفسهم يظلمون » (٢) . فعمل الانسان اذا كان مستقيما استتبع نتيجة سارة ، واذا كان سيئا كانت نتيجته هما واسباب .

وللمعاقرة - في هذا السؤال - ان تتجه الى الطبيب المختص ، اولى من ان تتجه الى الشيخ كاتب الورقة أو الى البئر المهجورة ، فخبرة الطبيب جزء من ارادة الله .

١٣٦ - رجل لم يتعلم ، وعلم ابنته ، وترك باقى اولاده من غير تعليم .
والبنت فى سن المراهقة ، ويحضر قريب لها فى سنها ، فبييت معها فى حجرة واحدة فى منزل اهلها .
وينفرد بها احيانا بحجة انه كاخياها ، او لاحتمال ان يتزوجها .
فما الحكم ؟ .

● ان الوالد علم ابنته القراءة والكتابة ، ولكنه لم يزل عنها « أمية » ، الحياة ولا الجهل بالسلوك الانسانى السليم . فينت فى سن المراهقة ويباح لها ان تنام منفردة مع مراهق مثلها فى حجرة واحدة ، وفى منزل الأسرة أو يباح لها ان تنفرد به فى خلوة خاصة ، بحجة صلة القرابة أو احتمال الزواج بها . هذا الوضع اشارة على « حسن النية » أو « التدليل » للبنت من جانب الوالد .

وحسن النية فى هذا المجال ، كالتدليل الى هذا الحد ، يشير من غير شك الى « الجهل » بحياة الشباب وخصوصا فى سن المراهقة . كما يشير الى « الجهل » بالتناجى الوخيمة التى قد تترتب على « انفراد » كل منهما بالآخر فى ظلام الليل وفى غرفة مغلقة . وهى نتائج تمس البنت التى علمها أبوها ، قبل ان تمس قريبها أو زوجها المحتمل فى علم الله يوما ما .

(١) الشورى : ٤٩ - ٥٠ .
(٢) يونس : ٤٤ .

● اما حكم الله في هذا الوضع فهو واضح ، وهو انه حرام على الأب ان يتركه على نحو ما يسير عليه . لأنه منكر قطعاً ، وتجب على الوالد هنا ازالته ، وازالته باليد ، وليس باللسان ، فضلا عن انكار القلب ، على نحو ما جاء في الحديث الشريف . « من رأى منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » .

ولا اعتقد أن الأب يجهل هذا الحكم الشرعي . ولكن اعتقد : اما أنه ضعيف الشخصية أمام ابنته المتعلمة ، أو مفرط في الأمل . وهو أمل زواج ابنته من قريبها المتردد عليها والذي يخلو بها وقت النوم أو فيما عداه .

والحياة لمن يعرفها عن تجربة – كى يتقى الانسان صعابها – فى حاجة الى ارادة قوية ، قبل الحاجة الى المال أو الى الحب والدلال . إذ الارادة الحازمة التى يصحبها بصر بالأمر هي أنجع الوسائل فى الحماية من الأضرار . والارادة الحازمة تفرق بين « الحب » و « الدلع » وبين « ما ينبغى » و « ما لا ينبغى » . والبصر بالأمر يقدر : أن « الحلال » هو ما ينبغى عمله ، وأن « الحرام » هو ما لا ينبغى عمله .

● والوالد ، لمصلحة ابنته ، ومن اتمام تعليمها ايضا ، أن يفهمها : أن سن المراهقة هي أخطر مرحلة فى تطور الانسان من الطفولة الى الرشد ، وأنه على نوع السلوك فيها يتحدد مستقبل الانسان الناشئ . فالذى يترك لهواه أن يسيطر على اتجاهه سيتردى بعد مرحلة المراهقة الى حياة الضعف والمهانة . أما الذى يمسك عن شهوته وعن كثير من رغباته فى هذه المرحلة فيقود نفسه الى حياة فيها كبرياء القوى ، الكريمة على نفسه وعلى الآخرين معه فى مجتمعه .

والحلال فى الاسلام هو طريق القوى الكريم . والحرام هو سبيل الضعيف المهان .

١٣٧ – هل يمكن أن يؤدي « الحسد » الى عجز طالب العلم عن استذكار دروسه عجزاً نفسياً ؟

وما هو العلاج الذى يراه الاسلام فى هذه الحالة ؟

● ان الانسان يحاول أن يقتحم بمنطقه « أسرار » الظواهر النفسية ليكشفها ويحدد العلاج لها . وهي محاولة يدفع اليها حب الانسان للبحث

والكشف • وقد ينجح في محاولته • ولكن في نجاحه مع ذلك لا يمكنه أن يدعى « اليقين » لما وصل الى بحثه أو كشفه من نتائج • لأن الانسان ذاته في البحث مقيد بظروف طبيعته ومعيشته ومزاجه وأوضاعه في محيطه • وهذه كلها لها أثر غير مباشر فيما يستنتجه أو يتوصل اليه •

وقد يدفعه الغرور الى الادعاء أو التوسع فيما يدعى ، أو يدفعه من جانب آخر الى انكار ما لم يصل اليه نفسه • رغم أنه مقيد في بحثه بأحوال الانسانية •

● وطالما وضع الانسان • أى انسان – هو هذا الوضع فالأولى أن يفسح في حياته مجالاً لهداية الله التي يرسمها كتابه العزيز • وإذا قرأنا فى إحدى السور القصار فيه قول الله جل شأنه : « ومن شر حاسد إذا حسد » وجب علينا أن نؤمن بالحسد وبأنه مصدر شر وأذى للانسان ، أما :

(١) كيف يوجد الحسد ؟

(٢) وكيف يصل شره من الحاسد الى المحسود ؟ • فهذا أمر لم يستطع الانسان حتى الآن أن يكشف عنه ، كما يكشف عن « المادة » فى بساطتها أو فى تركيبها فى معمل أو فى مختبر •

وكل ما يعرف عن الحاسد أنه انسان اثنانى امتلات نفسه بحب الذات ، بحيث لم يعد فيها مكان للآخرين • ولذا يضيق بوجودهم ، كما يضيق بالنعمة التى أنعم الله بها عليهم ويتمنى لو كانت له وحده دونهم ، ويسر بمصائبهم ونوائبهم وأحداثهم التى تقلقهم وتسبب ازعاجهم • فهو انسان حاقد يرجو زوال نعمة الغير • وهو بذلك مصدر شر للآخرين •

ونفسه اذن لا تنفث الا سموماً وأذى • وأن « زفير » نفسه يكاد يشبه الميكروب الذى ينتشر من حامله فيصيب الآخرين بأضرار • كما يكاد يكون أثر الحسد فى الآخرين يشبه فعل الميكروب اذا تمكن من جسم ضعيف •

● وهنا : الوقاية من الحسد هى فى « التعوذ » من شره : « قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد » (١) •

(١) سورة الفلق •

والتعود من شر الحسد هو دعاء الى الله بالوقاية منه . والله لا يستجيب لتضرع اليه الا اذا كان هو على الصراط المستقيم فى سلوكه وفى ايمانه ، وكان متوكلا على الله ، لا متواكلا عليه .

والمتوكل على الله هو من يستنفد امكانياته البشرية فى السعى فى عمله اولاً ثم يستعين بالله على توفيقه فيما يسعى اليه .

وهنا فى السؤال : طالب العلم الذى لا يقبل على استذكار دروسه هل :

(أ) هو مجد فى مدرسته ؟

(ب) هل هو مستقيم فى سلوكه ؟

(ج) هل هو أمين فيما يحكى :

ان كان من هذا النوع ، عليه أن يبدأ فى الاستذكار ، ويتوكل على الله ويستعين به فى عبادته على أدائه لعمله . والله نصيره بعد ذلك .

وان لم يكن من هذا النوع فهو من أتباع الهوى والشيطان ، قبل أن يكون من ضحايا الحسد والحساد .

١٢٨ - هل البقشيش الذى يدفع للاستحسان عادة حرام ؟

● اذا كان السبب فى العطاء القليل الذى نسميه : بالبقشيش أو بالاكرامية هو الاستحسان ، أى هو التعبير عن رضاء النفس من الخدمة التى تقدم للانسان . فهو فى واقع الأمر عطاء فى مقابل . . عطاء مادي فى مقابل معنوى . ولكنه ليس اجرا على عمل . لأن شرط الأجر على العمل ان يتفق عليه .

وعطاء شيء مادي فى مقابل ما يأتى به الآخر مما يسر النفس ويريحها أمر مقبول ، لا اثم ولا معصية فيه . والعطاء فى الوقت نفسه قام على أساس من اختيار المعطى وعدم الاكراه فيه .

ومثل العطاء للاستحسان العطاء بحكم العادة والعرف . فالعادة ، وخصوصا التى لا تنطوى على ضرر ، تفضل رعایتها عند التعامل بين اصحاب العرف الواحد . بل قد تعتبر شرطا غير مكتوب لصحة المعاملة .

فاذا كان سبب العطاء : الاستحسان ، والمعادة معا - كما جاء في السؤال - فليست هناك شائبة من حرج ، في مساوقة العادة ، وفي التعبير عن رضا النفس .

● ولعل السائل قد يقصد بسؤاله : « البقشيش » أصلا ليس جزء من الثمن أو الأجر ، وأنه من أجل ذلك يعتبر تبرعا ، فيه إكراه أو شائبة إكراه ، أو هو رشوة .

وصحيح أنه ليس جزء مشروطا أو مكتوبا في الثمن أو الأجر كما سبق . ولكن في واقع الأمر يكاد يكون جزء مشروطا ضمنيا في الثمن والأجر ، ومقابلته « الاتفاق » : أما في اختيار السلعة المباعة ، أو الخدمة أو العمل المأجور عليه . والاتقان أمر نسبي في كل شيء حسب طبيعته ، كما أنه ذاته هو الذي يثير الاستحسان والرضا النفسى ، مما يحمل الذات على دفع البقشيش .

فاذا كان دفع البقشيش للرياء - وليس تعبيرا عن رضا النفس بما قام به الطرف المعطى - فهو حرام . لأن الرياء من شأنه أن يفسد العمل الطيب . فقراءة القرآن اذا كانت رياء كانت حراما . وانفاق المال من نوى اليسار اذا كان رياء فهو حرام . والعلم من العالم اذا كان رياء فهو حرام .

والعمل الطيب في ذاته يقبل عند الله ممن قام به ، اذا اخلص فيه لله ، وقصد به وجه الله وحده . ولذا : كتمان العمل الطيب في مباشرته وأدائه ، له فضل مزدوج وعليه جزاء مضاعف .

● والرشوة بعيدة عن « البقشيش » في طبيعتها ودوافعها . فمن يعطى البقشيش ليس صاحب « نفوذ » أو « سلطة » يتحكم عن طريقها في قضاء المصالح والحاجيات . هو في العادة « متواضع » يريد أن يفعل ما في وسعه لراحة الآخرين في خدمتهم . ثم في الوقت نفسه ليس « متعينا » أو ليس هو « وحده » الذى يباشر الخدمة .

ولكن من يأخذ الرشوة هو يملئها في واقع الامر ، بحكم سلطته ونفوذه وتفرد في أداء الواجبات والخدمات للآخرين في محيطه . وقد يملئها في عنجهية وغطرسة ، لاحتساسه بالتفرد في العمل من جانب ، وبحاجة صاحب المصلحة في أداء العمل له من جانب آخر .

من يأخذ البقشيش قد يعبر عن شكره لما أخذ . لكن قلما يشكر من قبل الرشوة أو فرضها ، من تقدم اليه بها . فكبرياء سلطته ونفوذه يحول دون ذلك . وربما احساسه « بالخطف » واستغلال النفوذ يجعله يتستر بعدم اعلان الشكر على جريمته .

ومن يعطى البقشيش هو راضى النفس . ولكن من يعطى الرشوة مكره عليها ، وحاقد على من طلبها منه فى سبيل ضرورة لديه .

١٣٩ - واحد يقول : لى اخوة وأخوات . وانا واخوتى الذكور تلقى فى البيت كل عناية . أما البنات فلا . فهن يسخرن للقيام بكل الأعمال لخدمتنا وخدمة البيت ، بعد حضورهن من الدراسة ، مما يؤثر على تعليمهن ، ويعرضهن لظلام الجهالة . وانا تعس لرؤية هذه الحالة ؟ فما الحكم ؟

● يمكن للسائل ان لا يكون تعسا . وذلك بأن يشارك أخواته البنات فى عمل المنزل ، طالما يقصر الدخل للأسرة عن أجر الخدمة المنزلية ، والسائل يكون حقا صاحب عاطفة انسانية نبيلة ، لو وفر لأخواته البنات قسطا من الراحة ، كى يستطعن مباشرة استذكار دروسهن فى المنزل . بهذه المشاركة فى أعماله . فليس من العيب فى حكم العادة ولا من النقص فى الرجولة : أن يشارك الرجل فى عصرنا الحاضر - وكذلك فى كل عصر مضى - أمه . أو زوجته ، أو أخواته . فى خدمة المنزل ، أو خدمة الأطفال ، أو أصحاب الحاجة من المرضى فيه .

● ثم لست مع السائل فى أن البنت - أو الولد - اذا اشتركت فى الاعمال المنزلية ، سيحول ذلك بينها وبين استذكار الدروس أو عمل الواجب المدرسى فى المنزل ، لأن الاعمال المنزلية لأية أسرة مهما بلغت فهى محدودة . اذ البيت ليس مطعما . ولا فندقا عاما ، دائم الحركة وفى حاجة مستمرة الى الخدمة .

على أن التفرغ للدراسة فى المدرسة ليس هو قصر نشاط الانسان على اليوم المدرسى ، وهو : التردد على المدرسة ، ثم فيما بعد : عمل الواجب المقرر ، أو استذكار الدرس فى المنزل . وما يتخلل الدراسة - سواء فى المدرسة أو فى المنزل - هو فراغ ، قد يشغل بلهو عابث ، أو حديث لغو ، أو بزيارة

غير ضرورية . ولذا يمكن شغل جزء من هذا الفراغ بالمشاركة فى العمل المنزلى .

ومفهوم التفرغ للدراسة ، على ان نشاط الانسان اليومى تقصر ايجابيته على العمل المدرسى ، ويشغل ما تبقى بعمل غير مثمر ، هو من مفاهيم الحياة الخاطئة التى ترسبت فى عادات الشرقيين ، منذ ان كان يتردد على المدارس من يسمون بأولاد «الذوات» وحدهم . وهم أبناء المترفين فى الحياة الشرقية . وحياة أسر « الذوات » كانت مليئة بالخدم « والحشم » - كما يقولون - ولذا لم تكن هناك حاجة لأى عضو فى أسرة الذوات الى العمل فى الخارج ، فضلا عن المشاركة فى أعمال المنزل .

ومن التناقض فى الحياة الشرقية المعاصرة - وفى مصر بالذات - ان يبقى مفهوم « العمل » الآن غير واضح ، وأن تكون المشاركة فى القيام بالخدمة المنزلية « سخرة » تحرم البنات أو الولد من التعليم ، وتعرض من يقوم بها الى ظلام الجهالة ، كما يذكر السائل .

● ان الاسلام لا يعرف فى الانسان الا طاقته على السعى نحو العمل ، ولا يقدر لديه ثروة الا بمقدار ما له من نشاط فيه . وانه يرى فى أداء العبادة لله عاملا مساعدا لمن يعبد الله ، على العمل ، وليس عقبة فى طريقها . حتى الصوم ، الذى هو الحرمان من الأكل والشرب طوال اليوم ، يرى فيه الاسلام حافزا على الأمانة ، والرقابة الذاتية . والعمل فى اتقانه وجودته ، وفى كثرته فى الكم ، فى حاجة ماسة الى الأمين صاحب الرقابة الذاتية على ما يأتى به من تصرف أو فعل ، أو عمل .

وقد ربط الله فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ، ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضل الله ، وانكروا الله كثيرا لعلمكم تفلحون » (١) . قد ربط فى قوله هذا : بين العبادة ، والعمل من أجل الرزق والمعيشة ، ليوضح : ان العبادة تضيف من صفاء النفس عن طريقها ، عاملا قويا ، على : الداب فى السعى نحو العمل .

ان السائل عليه ان يتعلم أولا الجدية فى الحياة ، ويترك الرخاوة فى شغل الفراغ لديه . كما يجب ان يكون أكثر تفاؤلا . فظلام الجهالة لا يخيم

(١) الجمعة : ٩ - ١٠ .

الا على الكسول ، المتراخي ، والمترف اللاهي ، وليس على الانسان المجد
والمساهم بعمله في خدمة نفسه وخدمة غيره .

١٤٠ - سيدة نقول : انجبت بنين وبنات : الولد يموت ، والبنات تعيش ،
ومعنى الآن منهن ثلاث : ويعض جيرانى ومعارفى قالوا : لا تسكتى
على هذا . واذهبى الى شيخ يفتح لك الكتاب ويكتب لك حجابا .
فما الحكم ؟

● الاولى : ان تذهب السائلة الى طبيب نسائى مختص ، مع طبيب آخر
له تخصص فى تحاليل الدم للزوج والزوجة معا . فربما تكون هناك عناصر
وراثية فى دم اى منهما لا تقوى على الحياة والاستمرار فيها ، عندما يولد
الطفل ذكرا . اى ربما يكون هناك ضعف او مرض وراثى فى دم واحد منهما
او فى دمهما معا يحول دون ان يعيش الطفل الذكر . وفى الغالب يكون عند
الزوج .

● اما الذهاب الى « شيخ » يفتح الكتاب ويكتب الحجاب ، فالى اى
شيخ تريد الزوجة ان تتجه ؟ انه انسان ما . واذا كان الرسول محمد عليه
الصلاة والسلام ، لم يمنحه الله هبة فتح الكتاب ، ونعمة كتابة الحجاب - وهو
من هو ، مكانا ومنزلة عند الله - فكيف يمنح انسانا بعده من البشر فى عصر
من العصور هذا الفضل النافذ فى نتائجه ؟

ان فتح الكتاب ، وكتابة الحجاب لم يجعل الله سبحانه واحدة منهما
وسيلة للتقرب اليه ، حتى يستجيب سبحانه لما يقع عليه النظر صدفة عند فتح
الكتاب ، او لما يطلب فى كتابة الحجاب ؟

● ان فتح الكتاب ، وكتابة الحجاب ترجع فى الجماعة الاسلامية الى
الوقت الذى سيطرت فيه فكرة : « الوساطة » بين العبد وربه . والوسيط
انسان يدعى له : انه ارفع شاننا ومقاما عند الله ، وربما هو اكثر فسقا فى
الخفاء بين الناس . وفكرة الوساطة ليست من مبادئ الاسلام فى شيء .
لأنها تفترض حاجزا بين الله من جانب ، والمؤمنين به من جانب آخر . ثم فى
الوقت نفسه توحى بمقومات الوثنية والشرك بالله . فالناس جميعا - فى نظر
الاسلام - سواء فى الاعتبار البشرى ، وفى الفرصة التى تتاح لكل واحد
منهم كى يتقرب فيها الى الله بعمله الخاص .

ومسئولية العمل فى الاسلام هى مسئولية فردية ، لا تحمل نفس وازرة
أو مخطئة ، وزر نفس أخرى ولا خطاها . وكل هذا يحول دون أن يكون :
مبدأ « الوساطة » مقبولا من الناحية الاسلامية . وهو مبدأ طارئ على
المسلمين ، وقصد به تحويل الاسلام فى نقائه وصفاته كنظام حياة للانسانية ،
الى أن يكون طريقا للاحتراف بالدين ، ووسيلة للكسب الرخيص للعيش فى
حياة المدعى له ، ثم سبيلا الى التواكل ، والتراخى فى السعى والعمل .

● ان كتابة الحجاب - وما يكتب فيه من دعوات الى الله - لا تكفى فى
ان يستجيب الله لمن يدعى له . لا تكفى هذه الكتابة اذا كتب الحجاب للسيدة
السائلة واتجهت الدعوات فى كتابته الى أن يمنحها الله ولدا ذكرا يعيش ،
كما تعيش أخواته البنات ، لا تكفى فى أن يستجيب الله لدعاء الكاتب . لأن
الله يستجيب للداعى اذا تقرب اليه بالايمان والعمل الصالح . وليس من
العمل الصالح : كتابة الحجاب ، وأخذ الأجر عليه . بل كتابة الحجاب عمل
ينطوى على خداع وابتذال للسذاجة لدى بعض الناس ، واستعدادهم
للتصديق بالخرافة ، تحت تأثير الرغبة الجامحة فى تحقيق شئ معين لهم
فى حياتهم .

ان العمل الصالح فى نظر الاسلام هو : الحد من الأنانية ورغبات
النفس وشهواتها لصالح الآخرين . هو التوجه الى الله فى العبادة ، كى
يعين المتوجه اليه فى الكف : عن الجرائم ، وانتهاك الحرمات ، ويوفقه الى
السبيل السوى فى علاقته بالآخرين معه فى الأمة . هو حسن المشورة اذا
طلبت منه ، واداء الأمانة كاملة غير منقوصة ، والوفاء بالعهد على الخير
وتقوى الله .

وهل من حسن المشورة كتابة الحجاب وفتح الكتاب ؟ وهل من الكسب
الحلال ، الذى يبتعد فيه الانسان عن ايذاء الآخرين ، أخذ الأجر على كتابة
الحجاب وفتح الكتاب ؟

على السائلة أن تتجه الى الله وحده فى الدعاء ، دون وسيط بينها
وبينه . وعليها كذلك أن تستشير ذوى الاختصاص من الأطباء . فان عملهم
يمثل ارادة الله فى كونه .
